للنشر والتوزيع

أما بعد

مجموعة قصصية

مُبادرة نساء مُبدعات

للعمل الأدبي

الطبعة الثانية

٢٠١٩

اسم المجموعة القصصية : أما بعد .

تأليف: مجموعة كُتَّاب.

المدير العام: نهى محمود .

تصميم الغلاف: أحمد مصطفى.

تصميم وإخراج فني: همَّت العزب.

التصحيح اللُغوي: " أولي النُهى للتصحيح اللُغوي" نهى محمود .

الطبعة الثانية: ٢٠١٩

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ٢٠١٨/٢٠٧٧٩.

الترقيم الدولي: ٦-٣١-٦٦١٠-٩٧٧-٩٧٨.

الشهد
للنشر والتوزيع

١٧ش حسن وهبة من شارع الهرم الرئيسي

خلف كايرو مول .

موبايل / 01030850512

البريد الإلكتروني :

nohamahmoud.171186@gmail.com

elshahdpublishing2016@gmail.com

محفوظة جميع الحقوق

كُتَّابنا وقصصهم

١- رشا شمس ❤ ماريا التي سكنتني..

٢- نادية رشاد ❤ نوبات..

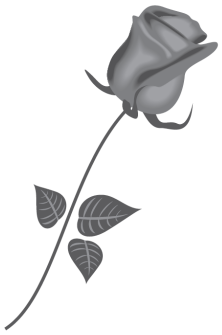

٣- مريم شعبان ❤ قهر الياسمين..

٤- فاطمة عمارة ❤ غلطة..

٥- فيفي جابر ❤ قلب المدينة..

٦- د. فاطمة الزهراء الحسيني ❤ فرحة..

٧- مروة مصطفى ❤ إنتَ عمري..

٨- جيهان عوض ❤ دار الغريب..

٩- د. نهلة التهامي ❤ هذه ليلتي..

١٠- نهى فتحي بيومي ❤ شقة عمي..

١١- ملياء عبد السلام ❤ ظلال..

١٢- هشام عيد ❤ لقاء..

١٣- عادل عبد الرازق ❤ التنورة..

إلى تلك القلوب التي رأت مِن الحياة
ما رأت وظلَّت على نقاءها
نُهدِيكم كتابنا..

رشا شمس

مـا بـعـد الإهـداء

ليست للحياة قيمة

إلا إذا وجدنا فيها شيئًا نناضل من أجله .

سـوفـــاج

دعوة للتأمل

يُحكى أنه منذ زمنٍ بعيد في بقعة ما على وجه الأرض، كان الإمبراطور يُحدِّث أحد فُرسان القصر والذي يتوقع له مستقبلًا باهرًا ويعقد الآمال على تزويجه ابنته الوحيدة الدميمة، قال الإمبراطور للفارس: اركب حصانكَ واجرِ به قدر استطاعتك، وعند آخر نقطة تقف فيها ستصبح كل الأراضي التي جريت عليها ملكًا خالصًا لك؛ فامتطى الفارس جواده مُمنِّيًا نفسه بمساحة شاسعة من أراضي البلاد، وانطلق بأقصى ما يستطيع من سرعة ولم يتوقف نهائيًا للراحة، لأنه وحسب اتفاقه مع الإمبراطور بمجرد أن يتوقف سينتهي العرض؛ فظلَّ يجري ويجري غير مباليًا بما يشعر من جوع أو عطش أو إرهاق حتى أعياه التعب وأصبح مُنهكًا، غير قادر على الحركة؛ فقد تردى وضعه وساء حال فرسه وتملَّك الإرهاق والألم منهما معًا... صحيح أنَّه قطع مسافةً طويلة جدًا أكثر مما كان يتوقع، لكنه أصبح في حالة احتضار، إنَّه بالفعل يموت، فقال في نفسه: لماذا بذلتُ كل هذا الجهد؟ لماذا قسوتُ على فرسي لهذا الحد؟ لماذا دفعتُ نفسي لتغطية أكبر مساحة ممكنة في حين أنني الآن أموت ولا أحتاج إلّا لمساحة صغيرة لأُدفنَ فيها؟ وهكذا مات الفرسُ والفارس...

هذه هي الحياة ندفع بأنفسنا طوال عمرنا لصنع المزيد.. المزيد من المال، المزيد من القوة، المزيد من السلطة، المزيد من الشهرة!!

فإذا غطَّينا احتياجاتنا الأساسية، سعينا لتلبية حاجاتنا الكمالية، وإذا غطَّينا حاجاتنا الكمالية سعينا لتحقيق الرفاهيات، إذا نظرنا خلفنا في يوم ما سنجد أنَّنا لم نفعل شيئًا، وكأنَّ الحياة كلها ما هي إلا ملذَّات ومتاع، اعملوا ليومٍ لن ينفعكم فيه الحصان، ولا أراضي الإمبراطور، فإن قيمة حياتنا الحقيقية فيما أنجزناه لإنسانيتنا ولمَن هم في حاجتنا..

إن متعة العطاء هائلة، لا يُضاهيها متعة...

رشا شمس

المُنسِّق الإعلامي للمبادرة

مقدمة الناشر

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول وما هو بمجهول...

عزيزي الحب تحيَّة طيبة..

أمَّا بعد...

تدق ساعة الحائط الثانية عشر تمامًا إثنى عشرة دقة مع صوت كاظم يتردد في أذني...

"الليلة إحساسي غريب... عاشق وأنا مالي حبيب.. حبَّيت كل الناس لاموني حبَّيت كل أحبابي باعوني"

نعم.. الحب كائن سحري يُشفي أمراضنا.. يُجبر كسور أنفسنا.. يجعلنا نتنفس.. الحب وحده من يسندنا، يُفرحنا، يُتعسنا، يستطيع إحيائنا وإماتتنا في لحظة... يُخطئ من يختزل الحب في رجل أو امرأة هو أعمق وأكبر وأعظم من علاقة مكتوب لها النجاح والاستمرار أو الفشل والانقطاع..

"قلت أحب الحب أحسن قلت أحب الحب أضمن"

من أعظم الأشياء أن تحب نفسك بلا أنانية أن تُقدِّرها تستوعبها، من يحبك سيتقبَّلك كما أنت لن يطلب أكثر منك لأنك لديه العالم وما فيه.. ابحثي عمَّن ينظر لروحكِ ويضمدها..

ابحثي عمن يراكِ فتاة صغيرة كما عرفكِ أول مرة.. ابحثي عمن يرى فيكِ كل نساء الأرض ولا بديل عنكِ.. ابحثي عمن لا يصدق نفسه وأنتِ بين يديه أنكِ له.. هذا هو الحب...

"**الليلة غير.. شعوري غير.. أشواقي غير حتى الأغاني غير..**"

أعترف لك يا مالك الروح مهما مرَّ العمر ومهما قابلت لن أحب كحبي لك ولن أعشق كعشقي لك فأنت ملكت روحي ولم تترك لغيرك شيء.. أؤمن أن الحب قرار قرَّرت وأنا بكامل قواي العقلية الإيمان برسائل القدر لي ففي لحظة قرأت عبارة لكاتبتي المفضلة "رشا شمس" أختم بها حديثي "العمر لحظات.. لكن بعض اللحظات عمر"

عمري يُحسب بلحظاتنا معًا...

محبتي الأبدية

المُخلصة

نهى محمود

ماريا التي سكنتني
بقلم
رشا شمس

سطور من حياة

رشا شمس

*قاصة وروائية مصرية عرفها القرَّاء حين صدر لها مجموعة قصصية كاملة بعنوان "**قلوب واجفة**"، كانت الأكثر مبيعًا ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٧م، تمَّ ترجمتها إلى الفرنسية وأُدِعت النسخة المترجمة في مكتبة باريس العامة..

*وفي ٢٠١٨م قدَّمت رواية "**واشتاقت إليك عيناي**" التي حقَّقت نجاحًا مُرضيًا على الصعيد الجماهيري خلال فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٨م وكانت الأعلى مبيعًا ضمن إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع، وصدر من الرواية أربع طبعات في عامٍ واحدٍ،

أشاد بالرواية لفيف من الأدباء المصريين والنقَّاد وناقشها د.حسام عقل أستاذ النقد والدراما بكلية التربيةجامعة عين شمس في ندوة مميزة جرت في دار الأوبرا المصرية في سبتمبر ٢٠١٨م.

* وفي معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩م قدَّمت **"قابل للفقد"** مجموعة قصصية من العيار الثقيل وحقَّقت نجاحًا غاليًا حيث صدر منها طبعتان خلال المعرض.

* حاصلة على بكالوريوس في علم الميكروبيولوجي من جامعة عين شمس بتقدير عام جيد جدًا، عملت أثناء دراستها الجامعية كصحفية في مؤسسة أخبار اليوم.

* حاصلة على دبلومة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة كامبريدج ١٩٩٧م، تتلمذ على يديها مئات الأجانب العاشقين للغة العربية وفنونها وآدابها، حاصلة على دبلومة في الأدب المقارن وعلوم الدراما من جامعة كامبريدج ٢٠٠٠م.

* المدير العام والمُنسِّق الإعلامي لمُبادرة نساء مُبدعات المعنية باكتشاف ودعم المواهب والأقلام الأدبية من جميع أرجاء العالم العربي.

* تعشق القراءة والأدب، وتربية الطيور وخاصةً العصافير والكناريا، تهوى ركوب الخيل والاسكواش، الموسيقى وتُفضِّل "البيانو" و" الناي " والمقتنيات القديمة والتحف المميزة..

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

ماريا التي سكنتني !
" وشناءٌ من دونكِ همزته تاء"

مضى من عمر ي الهزيل عامان كاملان كنت أحترق في لياليهما شوقًا لتلك الأنثى التي سكنتني، اثنا عشرة شهرًا انتحبتُ ساهرًا لا يُفارقني مصحفي ولا تُفارق دمعاتي وسادتي، جرحي مازال ينزف، وقلبي مازال يرتجف، مازالت صورتها تتراءى لي عند كل زاوية وعند كل منعطف، لعلَّها تدرك يومًا قريبًا كان أو بعيدًا أن حبي لها كان واقعًا غجريًا لم أجرؤ على احتماله، كان طُغيانًا عصف بكياني فلم يكن لي عليه سلطان، أضعفني الأمر وأنهكني النزاع النفسي، ألوم نفسي بكلمات لاذعة صباح مساء، ولو كان الأمر بيدي لهشَّمت رأسي العنيد لأتخلص من ذكرى تلك التي تتخللني وتسكن خلاياي، اتنفس عشقها مُنتشيًا، تُثملني الذكرى وتغشاني نشوة حين أنطق اسمها سرًا بين أضلعي، أرتعد حين يجول بخاطري أنها ربَّما باتت الآن في أحضان غيري، يهنأ هو بها ومعها بينما أصبحت ذكراها سحابة شتاء ثقيلة تنعكس على كل ما حولي؛ فلا أرى غير وجهها وقد اختفت ابتسامتها وتبدَّلت ليكسو ملامحها الملائكية لوحة من أسْود الإنكسار؛ فتركتني وحيدًا أعزلًا تائهًا دونها.

كان لقاؤنا غير محسوب، رأيتُها في احتفالٍ صغير أقامه لي صديق قديم ابتهاجًا بوصولي إلى لندن عاصمة الضباب بعد كثيرٍ من الإجراءات التي طالت والإنتظار الذي امتدَّ يحرق الآمال ويُفتِّت الأحلام، وبعد أن بلغ مني اليأس مبلغه ولولا تدخل مباشر من رئيسي في العمل بتوصيات متلاحقة واتصالات متتالية تسمح بها علاقاته الشخصية مع كل من كان الأمر بيده، وقعت عيناي على فتاة رائعة القوام، ترتدي ثوبًا أرجوانيًا يلف جسدها الممشوق في عِزَّةٍ وبهاء فتظهر مفاتنه دون ابتذال، لوحة آسرة تسرُّ العين والقلب معًا، إنها "ماريا جيسون" تلك اليمامة التي تقف بكبرياءٍ هناك في إحدى زوايا القاعة، أنفها دقيق، فمها رشيق وعيناها أسطورة خضراء لم أر لها مثيل، يمامة طارت من أرض الفردوس وأنا عاشق لليمام؛ فاستقرت هناك جنب النافذة، لم تبتسم لي، لم يسترع وجودي انتباهها رغم أني ضيف الشرف، كانت وكأنها تقف على الشاطئ الآخر من العالم، بيني وبينها بحرٌ من الاختلاف والتناقض، وقع بصري عليها فور دخولي قاعة الاحتفال، رأيتُ أجفانها ترتعش حين اصطدم وجهها العذب بسحابة كثيفة من دخان سيجارتها، كان الحضور ينتظرون لقائي وكأننا كنا على موعد سابق، تحدثتُ مع الجميع بمودة منبعها نيَّة

حقيقية على تكوين صداقات، هنأوني بسلامة الوصول؛ فشكرتُ ترحابهم ومودتهم، تعرفتُ عليهم وفي داخلي حرص شديد على حفظ وتذكُّر أسمائهم ووظائفهم وتسجيل أرقام هواتفهم، فالغربة صعبة ولا يُهوِّنها سوى الألفة التي تؤنس الأيام وتقتل وحشتها، درسٌ مجاني لقَّنني إياه أبي الشيخ "عبد الباسط المنياوي"،علَّمتْهُ إياه السنون الطويلة التي قضاها مُتنقِّلًا بين بلدان القارة الأفريقية كرئيس لبعثة الأزهر الشريف، فقضم سنوات غربته في خدمة الدعوة الإسلامية ونشر أصول الدين قبل أن يتوفاه الله في كينيا منذ سنواتٍ سبع...

كان الجو حميميًا والمزحات تنطلق هنا وهناك، بينما أنا أطوف على الحضور تعلو وجهي ابتسامة عريضة، وأذكُر كم كان أفراد الجالية العربية وبعض الشخصيات الإنجليزية الحاضرة على قدر كبير من الثقافة والتحضُّر، اهتم الجمع بي وسعوا نحوي مُرحِّبين إلا هي، ماريا جيسون.. أفروديت المعاصرة!

***

اختليتُ بنفسي في الشرفة، تنفستُ الهواء الطازج بعمق، دخنتُ سيجارة تلو الأخرى مع كوبٍ ساخن من الشاي

الإنجليزي المُعتبر حتى استعدتُ توازني، الآن بتُ أفضل قليلًا، استجمعتُ شجاعتي بينما الفضول يكاد يقتلني، مَن هي تلك اليمامة الأرجوانية التي تواطئ التاريخ مع الجغرافيا على عتبة ابتسامتها ليسلبوا العالم راحته واتزانه؟!..... اقتربتُ منها في هدوء حتى لا أحطم زجاج عزلتها، احتلَّتني غمامةُ عطرها الذي استنشقته رغم المسافة التي مازالت تفصل بيننا، مددتُ يدي مرحبًا وأنا أقول بإنجليزية محترفة: أنا باسم المنياوي، الملحق الثقافي الجديد في السفارة المصرية، تشرفت بلقاءكِ آنستي.

وبنظرة ثاقبة استهدفتني مباشرةً باغتتني قائلة: **ماريا جيسون، مديرة مكتبكَ سيدي.**

أعجبني أن تُناديني ب "سيدي" وراقني أن أكون في مواجهتها، لابد وأنها من عرائس والت ديزني، لا أبدًا... إنها أجمل وأرق من دُمية باربي الشهيرة، اقتربتُ بحذر؛ فوجدتُ في مواجهتها سحر وجلال يتناغم مع حضورها الطاغي وجاذبيتها المُسيطرة، ماريا الفاتنة..والفتنة أشد من القتل..

ربَّما طال صمتي احترامًا لتلك اللوحة البهية، فإذا بها تسألني بلهجة حائرة ونظرة مُتطلعة: أتعتقد أن بلدنا أجمل بلد في

العالم؟؟ حقًا ما الذي يدفع شاب مثلكَ للدخول في صراع محتدم لينتهي به الأمر وحيدًا إلى ليالٍ باردة طويلة في بلد غير بلده وثقافة غير ثقافته؟؟

فاجأني السؤال وفاجأتني نبرتها الحادة الممزوجة بحزنٍ دفينٍ تنطق به عيناها في خشوع ويأس..

لم أجد مفرًا من أن أحوِّل بصري عنها، فنظراتها تغويني، أجبتُ في هدوء مصطنع: لاشك أنه بلد لا يخلو من الحُسن والجمال بالإضافة إلى رفاهية العيش، هنا يمكنني إحراز تقدُّم ملموس في حياتي العملية وبسرعة لا يسمح بها الروتين في بلدي النامي، بلدكم جميل آنستي، بل هو أجمل بلد في العالم لأنكِ تتنفسين هواءه.

لا أدري لِمَا أحمرَّ خديها، أكان ذلك خجلاً أم غضبًا، لا أعلم!!

شرد ذهني لحظة تساءلتُ فيها: لِمَا لا تكون أجنبيةً مثلي؟؟ تؤلمها الغربة ويقتلها الحنين، لكن اسمها يؤكد إنجليزيتها.. لا أعلم، فقد أربكتني تلك الجميلة ذات الرداء الأرجواني، يمامتي التي تمنَّيتُ ألا تطير أبدًا..

فهمتُ بحاستي الذكورية أنها امرأة مختلفة، امرأة من التوت

البري، امرأة الياقوت، شغلني حزنها الدفين الطَّال من عينيها، أدركتُ أن في هذه الأمسية سيكون بيني وبينها ساحة حرب صامتة رغم اشتعالها، فعليَّ أن أتأهب لذلك وأشحذ كل طاقتي لمواجهة غضب داخلي لا أعرف سببه تحمله ماريا بين جنبات نفسها، فإما هزمتني وإما نجوتُ..

رفضتُ كؤوس الويسكي التي قُدِّمتُ لي، ليس ورعًا لكنه خوف من تجربة جديدة، لم أتهيأ لها بعد، فلساني لم يعرف ذاك المشروب الأصفر من قبل، وانطلقت الابتسامات حولي والهمهمات، الملحق الثقافي الجديد لا يشرب، إنه مؤمن ورع، لم أهتم بما يُقال عني، فقد كانت عيناي مُثبِّتتانِ نحو الجِنَّية الأرجوانية بينما أشاحت هي وجهها عني، كانت تُحادث آخرًا وتضحك لكن عقلها كان معي، تشعُر بي كما أشعُر بها، أقسم أن عينيها كانت تُحادثني بما لا يسمعه غيري، ثمَّ تقدَّمتْ نحوي بكأس في يدها قائلة بدلال يُناسب حضورها الزاهي: **ستشرب الآن من أجلي، أليس كذلك؟**

تحسستُ يدها وأنا أسحب منها الكأس، ألهبتني لمستها وكأنها جمرة نار، أغوتني عيناها الخضراوان المُحدَّدتان بزرقة

فيروزية كورق زنبق يتربع في بهاءٍ فوق مياه بُحيرة استوائية، قتلتني تلك الرموش الطويلة في زهو، ما هذا المجهود الذي تبذله لهزيمتي؟ وما هذا الثبات؟ ما شأنها بي؟ تجرعتُ الكأس وأنا أهمس داخلي: لماذا يا ماريا، لماذا؟

انهيتُ كأسي على جرعة واحدة، فابتسمت قائلة: **لم يكن للأمر علاقة بالإيمان إذن، هذا ما أردتُ إثباته، وقد فعلتُ..**

أعلنتْ جملتها صريحة وسط الحضور؛ فصفَّق الجميع لها ابتهاجًا بانتصار حقَّقته ماريا على شرفي في نزال قادتني نحوه على غفلةٍ مني ودون إرادتي!...

اجتاحني غضب مفاجئ ولو أني تركت نفسي حينها على سجيتها لشددتها نحوي من شعرها الكستنائي المنسدل على كتفيها في تفاخر وغرور وألهبتُ شفتيها بقبلة لم تتذوقها من قبل، أو ربما نزعتُ عنها ذاك الرداء الأرجواني الذي يُغلِّف جسدًا شهيًا ككوز العسل... يبدو أنها قرأتْ ما يدور في ذهني أو أن عيناي فضحتاني، ضحكتْ واقتربتْ هامسة: **أرجو ألا تفعل ما يوسوس لكَ به شيطانك الشرقي، لا تخف، فلا مزيد من التحديات، أعدُك..**

سحبت الكأس الفارغ من يدي وتركتني مشدوهًا لا أسمع إلا صوتها الرخيم....

❀❀❀

ثلاثة شهور مرَّتْ عليَّ بعد تلك الأمسية وأنا أراقبها وألاحقها بنظراتي الفاحصة دومًا الفاحشة أحيانًا، بمجرد أن تقع عيناي عليها لا أستطيع أن أغادرها، يجذبني حضورها ويسحرني عبيرها، تمنيتُ أن تدركَ أني أعرفها منذ زمنٍ بعيد، ففي سنوات مراهقتي أضرمت النيران في جوفي بأحلامٍ مستعرة عنها، حدَّثتها مرارًا في صباي وسنوات شبابي الأولى، رأيتُها من قبل في أحلامي، فقد سكنتني...سكنتني وهذا ما كنتُ أخشاه..

وذات يوم وبعدما خلا المكتب ماعدانا، وجدتُها تدخل غرفتي وكأنها تقتحم ثكنتي العسكرية وقد أعَدَّت عدتها وأغلقت كل الثغرات ورسمت كل الخطط وأزالت كل الحواجز الدفاعية، اقتربتْ أكثر فأكثر حتى شعرتُ بصدرها الصلب الشرس يخترق أضلعي؛ فانهارتْ كل دفاعاتي وهوَت حصوني، انخرطنا معًا في قبلة طويلة....غاص فمي في غروب الشمس عبْر كل العصور، ويالا عُمق الغوص، عيناكِ يا ماريا أسطورة عشق سرمدي سلبتني نفسي وإرادتي، التقينا وياله من لقاء!!

صار بيننا ما صار وانتهى بنا الحال وقد تمدَّدت أجسادنا عارية في ركن الغرفة، توسَّدتْ ماريتي صدري وتوَّج رأسها قلبي، غمرني أريج شعرها وامتلأت رئتاي بعبيره الذكي، هدأتْ روحي وسكَن روعي... استعدتُ نفسي وتوازني عندما وضعَت ماريا شفتيها على شفتيَّ وأدركتُ بقلبي أنها تُحبني، كان لي في قلبها ما كان لها في قلبي، لولا أنها كانت أسيرةً لتجربة حب قديمة قد ألقت بظلال سوداء قاتمة على روحها الثائرة الطليقة فمنعتها الحياة..

ففي عامها الجامعي الأول كانت قد أحبَّت شابًا عربيًا، ذو بشرة سمراء يفوح منه عطر الشرق وتوابله، لم تستمع لصديقتها حين نصحتها بعدم تجاوز الأمر مع "جمال الغامدي"، فالشرقي لا يغفر الذنوب وإن كان أول مقترفيها، فعنفوان رجولته يجعله يُصنف فتاته كعاهرةٍ بعد أول قبلة رغم أنه يرجوها وتهفو نفسه إليها، لكن حُبها لجمال دفعها نحوه، فالقلبُ دائمًا ما يبحث عمن يسكُنه ويقطف أزهاره، خطَت بسرعة نحو فتاها الشرقي كل خطوة تُقرَّبها منه مُعلنة حبها أولًا وولائها ثانيًا دون قيد أو شرط.. تُثبتُ له يومًا بعد يوم كَم تحبه، لا شيء يمنعها أن تحبه، وأن تستمتع معه بهذا الحب، أن تمنحه ما لم تمنحه لغيره من الرجال، وفي عيد ميلاده أهدتْهُ عُذريتها...

أما هو فقد خطى نحوها بخطوات ثابتة حتى استولى على ما لا يستحق، ثم غادرها إلى موطنه المتخم بالبترول، تزوج من عذراء شرقية لم يلمسها قبله مِن أحد.. صدمها جمال بفعلته الحقيرة، أهانها ومزَّق آدميتها حين عاملها وكأنها مجرد قطعة قماش تغلَّب بها على حاجته وهزم بها شهوته؛ ثم رحل إلى ابنة عمومته الخمرية ذات الحجاب، رفض عقلها كل شرقي بعد ما كان، أوصدت قلبها أمام كل ريح تأتيها من الشرق، فليس عليها عبور البحر، مرَّت شهور تألمتْ فيها، تأزَّمت علاقتها بنفسها، لامها قلبها كثيرًا، جادلها عقلها أكثر حتى هدأت ثورتها وارتضت ذلك وتقبلته، هكذا هو الأمر.. فلا ضير إذن من علاقات عابرة لا تأخذ منها أكثر مما تستحق ولا يتوجب عليها حيالها التزامًا يُقيدها أو يؤلمها، عاشت سنوات تعوَّدت خلالها ألا تمنح قلبها لشرقي يُسحرها حضوره، ولا غربي يُعجبها سلوكه، فالرجال مُخادعون، يعشقون السفر والترحال بين النساء، حتى أباها فقد هجر والدتها بعد أن أنجب منها ست من الأطفال، أرهقته المسئولية واستنزفت احتياجات الأطفال قواه ومدخراته؛ فعاد إلى كشمير، موطنه الأصلي تاركًا زوجته ترعى وحدها أطفالهم، غاب وغابت معه كل ملامحه وبهتت صورته في عين أبناءه رويدًا

رويدًا، حصلت والدتها على حكم الطلاق من القضاء، وغيَّرت لقب أطفالهم ومنحتهم "جيسون" لقبَها هي، لِمَا لا وهي أولى بهم وأحق... لم تر "ماريا" والدها "رشيد كييف" منذ أن كانت في الخامسة من عمرها وتمنَّت ألا تراه أبدًا... ثم كان ما كان مع "ابن الغامدي" الذي تتبَّعت أخباره من قبيل الفضول؛ فعرفتْ أمر زواجه، أرسل لها بعد ثلاثة أعوام صورته مع والديه وزوجته وتوأمهما الجميل، صار صحفيًا لامعًا في جريدة وطنية بارزة، وكاتبًا ذا شهرة لا تُخفى على أحد في بلاد نَجْد والشرق الأوسط، ربما يسعى للعالمية ويؤمن بداخله بالعلمانية، يعترض على زمرة من القوانين التي تحكُم مجتمعه، لكنه بكل تأكيد لا يقوى على إعلان ما يجول بباطنه ولا يسعه إلا الانخراط في محليته ومجاراة قوانينها حتى وإن رفضها وازدراها داخله...

تقبَّلت ماريا ذلَّتها وراحت تعالج روحها بالحنان والعطف على الفقراء والمساكين، انخرطت في العمل المجتمعي، وهبت أيام أسبوعها لخدمة مرضى السرطان، وذوي الاحتياجات الخاصة، ودور الأيتام، تسكب عليهم عواطفها وتجدِّد معهم إنسانيتها وإيمانها الفطري بالحق والعدل والرضا، حذفت الرجال من قاموسها وعزَّزت أنوثتها بالقراءة والاطلاع، لولا أنني ظهرتُ

في الأفق، لم ترد أن تتجرع كأس الألم من جديد ولا أن تعاني مرارة الخذلان ولا أن تستشعر لهيب الفقد ولا أن تتجمد بصقيع الخيبة مجددًا، ثم نظرتْ نحوي في استفهام يُغلِّفه رجاء قائلة: **لن تكن كجمال، كذَّاب، منافق، أليس كذلك؟**

مسحتُ بيدي عرقًا كسا جبينها ووضعتُ يدي على يدها وقلتُ وكلي صدق: **أنا الآن رجل مُعْتَرفٌ بوجوده فقط لأنكِ أحببتِني، لا أراكِ ناقصة أبدًا وأؤمن أن قصصنا العاطفية ماهي إلا تجارب تملأ دفتر مُذكَّراتنا بالخبرة اللازمة للفهم، فلا بأس ببعض الألم المصاحب لروعة التعلم، فلا عليكِ بما قد كان، لا تفكري فيما فات بل لنحلمَ معًا بما هو آت..**

❀❀❀

كانت ماريا امرأة لي لخمسين ليلة من ليال الجنة، خمسونَ فجرًا قضيناها معًا لا يفصل بيننا فاصل ولا يمنع بيننا حاجب، وذات صباح وقد كان النوم مازال فارضًا سيطرته بالكامل على جسدها البضد احتضنتها بكل جوارحي، مرَّرتُ فمي على وجهها وعنقها الأملس المرمري أُقبِّلها، فتحتْ عينيها اللامعتين وبادلتني الصباح بقبلة هادئة منعشة كطعم النعناع مستفهمة عن وجهتي،

فاليوم عطلة رسمية والجو بارد جدًا والسماء مُلبَّدة بغيوم فبراير، ودَّعتُها بابتسامة وأردفتُ بينما أربتُ على كتفها: عليَّ الانتهاء من بعض الأمور سأعود سريعًا، فلا تنزعجي..

هكذا عدتُ إلى أرض الوطن أحمل في داخلي شقاء ماريا، شقاءٌ على انتظارها لرجل مثلي، رجلٌ كاذب، منافق، ضعيف، يعشق السباحة لكنه لا يقوى عليها إن كانت ضد التيار، يحمل على ظهره ذنب وجريمة، رجلٌ وأدَ أحلامه بنفسه، ترهقه جريرة الحنث بقسم الحب، يغشاه انحطاط السقوط في بئر الخديعة، رجلٌ يقتله وعد، وتفسده رؤى، يربكه ويشتت حياته ارتباط أراده بشدة لكنه لم يقو على تنفيذه..

أقسمُ أني لم أكن أكذب حين قلتُ أحبكِ، لكني لستُ قويًا ناضجًا بما يكفي لأتزوجكِ، مريضٌ أنا بكِ ومريضٌ من أجلكِ... علَّتي يا ماريا الإزدواجية، ولا رجاءَ من شفائي، سامحيني..

وهكذا أنا أيضًا تزوَّجتُ "جهاد" آنسة جميلة ذات بشرة بيضاء، مُمتلئة القوام قليلًا في غير تهدل، شفاهها دسمة تحمل دعوة مُلحة للقُبل، رشحتها لي أمي، رأيتُها مرة ثم خطبتُها شهرًا قبل الزفاف، تزوجتُ بكرًا لم يلمسها قبلي إنسٌ ولا جان إرضاءً

لشرقيتي وتزكيةٌ لرجولتي، فمثلي لا يبلع لقمةً سبقه إليها غيره، زوجتي هادئة، ساكنة، عيناها واسعتان بغير بريق، تحبني، توقرني، ترجو رضاي، رضوخها لأوامري واستسلامها الكامل لي في الفراش يُرضي غروري ويُشعل غريزتي لكنه بالقطع لا يُرضي إنسانيتي ولا يُهدهد مشاعري، أقسو عليها حتى تنتشي ثم أحنو عليها حين تعلو آهاتها في فراش الزوجية، أضمها إلى صدري، وأقسم لها أني لم أتعمد إيلامها؛ فتُقبلني أكثر وتُثني عليَّ، تُرضيها غلظتي معها حتى تقبض على ظهري وتغرس أظافرها فيه، تعتبرها "فتونة" وهي عاشقة لفتوات الحرافيش، تصرخ وأصرخ معها، كلانا تذوق الألم حتى أدمنه، أقسو على نفسي وأجلد ذاتي حين أُعاشرها بجسدي، تنتفض هي راضية ومعها ينتفض قلبي فيكاد يخرج من صدري ويطير إلى "عاصمة الضباب" حيث يمامتي الأرجوانية..

أنسى أحيانًا أني أعيش مع "جهاد" وأغفو؛ فأراني أسير هناك مع ماريا تحت المطر وقد تخفَّفنا من ملابسنا حتى يخترق الغيث أجسادنا، تتشابك أيدينا فلا فراغ بين أصابعنا، يتشبث كلٌ منا بالآخر تشبثه بأحلامه، فلا ينزعني من أوهامي سوى ضحكة طفلتي وهي تركض نحوي هربًا من أمها التي تُلاحقها لتدس في فمها الصغير الطعام، أحملها بين ذراعيَّ وأرفعها عاليًا ثم

ألتقطها، فتُدغدغ ضحكتها البريئة قلبي وتهُز مشاعري وتُغنيني عن الأوهام، لا أدري كيف جاءت ابتسامتها مُطابقة تمامًا لابتسامة يمامتي الأولى، أي قانون وراثي أفرز هذا الجمال العبقري؟ أهو ثوابُ أم عقاب أن أرى ماريا الصغيرة تكبر يومًا بعد يوم فتُطابق ملامحها ملامح سيدتي الأرجوانية؟ شكرتُ الله حين لم تسألني زوجتي عن سر إصراري على منح صغيرتنا اسمًا أعجميًا، أخبرتُها كذبًا أني رأيتُ ذلك في المنام قبل ولادة الصغيرة بأسبوع، أسرعت "جهاد" تسأل جارتنا الشيخة العجوز التي لا تفارق سبحتها ولا تغادر سجادة الصلاة إلا قليلًا، عادت بعد قليل لتخبرني أنها رؤية وقد سُميت صغيرتنا من فوق سبع سموات، إنها إرادة الله وعلينا السمع والطاعة، لم تعلم أنها إرادتي وأني خدعتها في ذلك أيضًا..

تمر أيامي كرًا وفرًا وأدعو الله صباح مساء تضرعًا أن تجد سيدتي الأرجوانية سعادتها، أسجدُ وأقترب وغاية أملي وعظيم رجائي أن تغفر لي ماريا كبيرتي، ماريا جيسون تلك الأسطورة التي حطَّمتُها بقسوة منذ عامين، فحطمتني هي للأبد حين سكنتني...

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول، تحيَّة طيبة

أمَّا بعد...

إلى كل من أحب وظُلِم..

إلى كل من ذاق الألم..

إلى كل من ضاع منه الأمل..

إلى كل يائسٍ مجروح ومن غدر الدنيا مدبوح..

إلى كل من أصابته الجروح..

تذكَّر أن الملائكة لا تسكن الأرض أبدًا، إنما نحن بشر، نفرح تارة ونحزن تارة، هكذا هي حيواتنا سجال بين السعادة والحزن، بين اليأس والرجاء، بين الفقد والاكتمال..

تسير بنا الحياة فكيف لنا أن نوقفها؟!

نعاني ونعاني ولا نستطيع أن نُخالفها!

الدنيا حالين نتقلَّب نحن بين حاليها، تارة تضحك لنا فنظن أننا ملكناها، وتارة تقذفنا فنتمنى لو أننا أهلكناها.

ورغم هذا وذاك نسير ونواصل السير زحفًا أو عَدوًا، نمضي في أحزاننا حينًا، ونغوص في أحلامنا حينًا، نتمنى أن يُشرق نهارنا بشمسٍ تُحي أزهارنا، فلنتذكر دومًا أن الدنيا لا تُعطي إلا وأخذت، ولا تضحك إلا وأبكت، فلا تنتظر عزيزي من الدنيا متاعها وأمِّن نفسك غدرها بالحب الخالي من الأطماع، بالعطاء دون مقابل، بالعطف غير المشروط، وبالجميل دون انتظار مردود..

فالحب أسمى ما في الوجود،
فبه نحن نجود، وننسج أحلامنا بلا حدود..

محبَّتي الأبدية
المُخلصة
ر شا شمس

نوبات
بقلم
نادية رشاد

سطور من حياة

نادية رشاد

نادية رشاد عبده..

* تخرَّجت في كلية الآداب قسم الفلسفة، أعمل مدير عام بجهة بحثية، أهوى كتابة الشعر والقصص القصيرة وبالأخص مجال الرعب ولي بعض الكتابات نُشرت إلكترونيًا.

* عشقت القراءة منذ الطفولة وشجَّعني والدي رحمه الله والذي كان لا يكف عن القراءة.

* أحببت القراءة لدرجة أنني كونت مع شقيقي أول مكتبة من مصروفنا الشخصي وجمعنا فيها كل ما كنا نبتاعه من روايات للجيب ومجلَّات.

* أما الكتابة فكنت أقرض الشعر وأنا تلميذة في الثانوي.

* وعن كتابة القصص فالغريب أنني لم أبدأها سوى من

ثلاثة أعوام فقط ولم أكن أرى في نفسي الموهبة لذلك.

* وبتوفيق الله وإلهامه أصبحت كتابة القصص لديَّ هواية أؤديها بحب وسعادة هذه نبذة قصيرة عن شخصي المتواضع.

صدر لي العام الماضي مجموعة قصصية بالاشتراك مع شقيقي بعنوان **"قاتل بالتسعيرة الجبرية"** صادر عن دار المثقَّفون العرب وقصة **"المسَّاكة"** في كتاب مُجمَّع بعنوان **"أنامل قصصية"** صادر عن دار لوتس للنشر الحر.

وصدر لي هذا العام مجموعة قصصية بعنوان **"#هاشتاج_ندم"** عن دار المثقَّفون العرب للنشر والتوزيع، وأيضًا شاركت بقصة **"يتربى في عزك"** في كتاب مُجمَّع بعنوان **"حكايات من أرض الفزع"** عن دار شهر زاد للنشر والتوزيع.

كتبت عدة أعمال ساخرة ناقدة لسلبيات موجودة بكثرة في مجتمعنا تحت عنوان **"حكاوي البلاوي"** وأحلم أن تخرج إلى النور يومًا ما.

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

نوبات

(العزلة شفاء من الناس، والاختلاط بهم مرض خبيث)

قرأت تلك العبارة مرة في مجلة ما، لا أذكر اسمها الآن.. نسيته كما نسيت تفاصيل كثيرة مرَّت في حياتي..

لا يهُمني تذكُّر تلك الأشياء.. فأنا أنعم بعزلتي الآن، ربما كانت الوحدة قاسية لكنها ستظل أكثر إنصافًا من صخب الحياة المفزع..

هل كنت كذلك طوال سنوات حياتي الماضية؟

لا أظن..

أتذكر أنني كنت أحب الانطلاق والرحلات والأصدقاء؛ بل وأتذكَّر ملامح باهتة لي وأنا أعزف على آلة موسيقية ما، نسيتها هي أيضًا..

يا إلهي، لقد أصبحت تلك النوبات تعاودني من حين إلى آخر فأنسى أحداثًا كاملة وتفاصيل هامة في حياتي؛ ثم أعاود تذكُّرها فجأة بعد أيام أو أسابيع..

أووه، لقد نسيت أن أعرفكم بنفسي..

أنا "عدلي موريس"، مهندس بترول، عمري تخطَّى

الأربعين بقليل، أعيش بمفردي..

لا ليس بالضبط.. ولكنَّني أعتبر نفسي وحيدًا إلا من تلك البلهاء القبيحة التي تُشاركني منزلي..

إنها تروح وتجيء أمامي طوال الوقت.. تحمل هذا أو تضع ذاك، تكوي ملابسي، وتصنع لي ذلك الحساء المقزز الذي لا يجبرني على تناوله سوى شعور ممض بالجوع..

كانت مجرد رؤيتي لها تثير فيَّ حنقًا بالغًا، ربما كانت تُذكِّرني بضعفي واستسلامي لوالدي الذي أجبرني على حياة لم أكن لأرضاها لنفسي أبدًا؛ وألصق بي ذلك المسخ الدميم كي تُشاركني الباقي من حياة رسمها لي قبل وفاته..

لا أذكر الآن ظروف زواجي بها، كل ما أذكره أنني استيقظت يومًا لأجدها قابعة في فراشي كالقردة..

الحق أنها كانت ومازالت نِعْمَ الخادم المطيع، كانت تعاملني معاملة الجارية لسيدها، ولكن من قال إنني أردت جارية؟!

حلمت يومًا أن أتزوج حسناء مثقفة ومتفتحة؛ فالتصقت بي تلك البلهاء خاوية الرأس..

قد يتهمني البعض بالتعالي والكبر؛ بل والإفتراء أيضًا.. فمن

ذا الذي يجد الآن زوجة مطيعة وخاضعة في زمن غلبت فيه المرأة الرجل؟

وإلى هؤلاء أقول:

- فلتجرَّبوا معاشرتها يومًا واحدًا بوجهها القبيح ورائحتها الكريهة ثم حدِّثوني عن التعالي والإفتراء!

أسمع أحدكم يقول بحكمة:

- فلتطلِّقها إذن ما دمت تمقتها كل هذا المقت.

وردِّي هو:

- فلتقرأ اسمي جيدًا يا هذا، ألا يوحي لك بشيء؟

نعم. أنا قبطي.. لا يوجد لدينا تفريق، زواج أبدي لا يُنهيه سوى الموت..

أما هي فكانت قليلة الكلام خفيضة الصوت، كل مهمتها خدمتي فقط دون النظر لأي شيء آخر؛ حتى إنني صرخت بها يومًا أن تكف عن ملاحقتي والتمسُّح بقدمي كقطط الشوارع، وكان ردها السمج الذي قالته بوهن دون أن ترفع رأسها عن الأرض:

- سأظل أخدمك حتى لو صرت جثة..

ويبدو أنها تيقَّنت أنني لن أنظر لها يومًا كأنثى، فأهملت في نفسها حد القذارة حتى صارت رائحتها بل ورائحة المنزل كله لا تطاق..

عاودتني نوبات النسيان مرة أخرى حتى إنني نسيت بالأمس طريق البيت، واضطر أحد الزملاء لاصطحابي إلى بيتي وظلَّ يُثرثر طوال الطريق عن ضرورة استشارتي لطبيب نفسي قبل أن يتفاقم الأمر..

لكنَّني كنت أنظر للأمر من منظور مختلف، فلربما كانت نوبات نسياني هي رحمة من الرب حتى لا أفقد عقلي من فرط تعاستي.

تركني زميلي أمام الباب وانصرف، محاولًا إخفاء علامات التقزُّز التي ظهرت على وجهه جراء تلك الرائحة العفنة التي انبعثت من خلف الباب..

دخلت عازمًا على الانفجار في تلك الفقمة القذرة التي أحالت حياتي جحيمًا.. صرخت مناديًا لها وأنا أضع منديلًا على أنفي..

يا إلهي.. لقد زاد الأمر عن حده.. كيف أعيش في هذا المنزل الذي يشبه القبر في كآبته ورائحته..

ظهرت عند آخر الرواق تهرول مسرعة، حتى خيل لي للحظة أنها تطير بلا قدمين..

ورفعت لي وجهها فهالني شحوبه..

يبدو أنها مريضة جدًا؛ فذلك الطفح الجلدي الذي سبَّب تآكل جلد الوجه والكفين لم يكن ظاهرًا من يومين..

اقتربت مني فكدت أسقط مُغشيًا عليَّ من رائحتها البشعة المنبعثة من تلك التقرحات التي انتبهت الآن فقط إلى أنها منتشرة في أجزاء كثيرة من جسدها المتهالك..

كانت صامتة تمامًا لا تتكلم أو تتألم، وللحظة انتابني شعور بالشفقة عليها مثلما تشفق على حيوان أجرب جريح يجوب الشوارع متألمًا في صمت..

خلعت سترتي فتناولتها مني بيد كاد العظم يبرز منها ثمَّ غابت ثانية واحدة وعادت واضعة أمامي صحنًا من الأرز واللحم، لم أذق منه شيئًا فرائحتها أصابتني بغثيانٍ شديدٍ..

بعد دقائق سمعت لغطًا وأصواتًا كثيرة أمام شقتي، بدت وكأنها تساؤلات بين السكَّان عن مصدر تلك الرائحة التي انتشرت في الدور المتواجد به شقتي، مما زادني حنقًا وحرجًا..

وبعد نصف ساعة أخرى، وأثناء جلوسي مفكرًا في مخرج من تلك الحياة التعسة وكانت هي متكومة تحت قدمي ككلب وفي، دوت طرقات عنيفة على الباب فهرعت أفتحه لأجد الشرطة تقتحم المنزل وخلفها بعض الفضوليين يحاولون اختراق عزلتي بعيونهم المتلصِّصة ولم يمنعهم من الدخول سوى تلك الرائحة البشعة التي أزكمت أنوفهم..

انتشرت الشرطة بالمنزل وأنا أسألهم بذهول عمَّا يبحثون؟! ومن الذي استدعاهم؟!

وسرعان ما جاءت الإجابة على هيئة تلك الجثة التي خرج بها من غرفتي شرطيان حاملين إياها وهما يسعلان من بشاعة الرائحة؛ وسمعتهما يقولان لرئيسهما الواقف مُتسمَّرًا بجانبي:

- وجدنا جثة الزوجة أسفل الفراش يا سيدي وهي في حالة تعفن.. يبدو أنها قُتلت منذ أسبوع على الأقل..

نظرت لهم في ذهول وأنا أردِّد:

- جثة.!! الزوجة.!! قُتلت؟!

وهنا تذكَّرت فجأة؛ وعاودتني الذكرى كمشاهد قصيرة متلاحقة.. رجوعي إلى المنزل مخمورًا لا أرى أمامي..

وتلك الخادمة التعسة التي وجدتها أمامي تسألني عن تجهيز العشاء.. وانقضاضي عليها محاولًا النيل من جسدها الضامر.. ثم ظهور والدي المفاجئ وصفعاته التي انهالت على وجهي وتصميمه على زواجي بها تصحيحًا لخطأ لم يحدث أبدًا.. وأخيرًا مشهد الأب مكاريوس وهو يعقد الإكليل.. ولكن زوجتي حيَّة لم تمت! لقد كانت هنا منذ لحظات.. وظللت أنادى عليها ولا مجيب..

فما كان مني إلا أن انقضضت على الكيس الأسود المغلق على الجثة وفتحته بعنف ليطالعني وجهها المتآكل البشع وعيناها الجامدتان تحدقان بي في عتاب وخنوع.. صرخت واضعًا كفي على عينيَّ وعادت المشاهد تتلاحق أمام عينيَّ من جديد، مذكِّرة إياي بجزء آخر تراجع من ذاكرتي..

رأيتني أنهرها بعنف على إهمالها الشديد؛ وأذكَّرها بأنها مجرد خادمة ولا يجوز لخادمة أن تهمل في عملها..

نظرت لي بحزن واستدارت منصرفة فى مذلَّة كعادتها.. وهنا شعرت بغيظ هائل منها ومن أبي ومن الدنيا كلَّها؛ ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أستل مسدسي وأوجِّه إلى ظهرها رصاصة واحدة أردتها قتيلة..

سحبت الجثة بهدوء واضعًا إياها تحت الفراش؛ ثم ألقيت بجسدي المنهك عليه ورحت في سبات عميق أفقت منه على يديها وهي تضع طعام الإفطار بجانبي وصوتها يدوي في عقلي:

- لقد وعدتك أن أظل في خدمتك حتى وإن صرت جثة..

الأن أنا نزيل المصحة النفسية أنتظر محاكمتي ورأيت أن أكتب إعترافي قبل أن تعاودني نوبات النسيان.

يا إلهي ما هذا؟ من وضع فنجان القهوة أمامي؟

من؟!!

أنتِ؟!

لا لا.. أنتِ ميتة.. ميتة

❀❀❀

من أوراق نزيل الغرفة رقم (١٩) الذي وُجِد منتحرًا؛ وبيده فنجانًا من القهوة المسمومة لم يعرف بعد من قدَّمها إليه.

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيبة..

أمَّا بعد...

احلم قدر المستطاع فالحلم لن ينقص من عمرك شيئًا واسعى جاهدًا لتحقيق ولو جزء منه فقديمًا قالوا:

(ما لا يُدرك كله لا يُترك كله)

كل الاختراعات بدأت بحلم، وكل الإبداعات بدأت بحلم..

إياك أن تخجل من حلم لم يتحقق فالمُخجل هو أن تحيا بلا حلم ولاهدف..

حتى وإن لم يتحقق كل حلمك فشرف المحاولة يكفيك..

محبّتي الأبديّة

المُخلصة

نادية رشاد

قهوة الياسمين
بقلم
مريم شعبان

قهوة الياسمين
بقلم
مريم شعبان

سطور من حياة

مريم صالح شعبان

* من مواليد سوريا وتحديدًا دمشق أو كما أُفضِّل أن أكنيها الشام، من مواليد ١٩٩٣م.. درست التاريخ في جامعة دمشق .

* بدأت القراءة بسن صغير بين خبايا مكتبة والدي وقصصه التي خطَّها بيده ولكنها لم ترى النور للنشر .. لم أحلم بالنشر من قبل حتى قرأت للرائع أحمد خيري العمري .. وجدت به ضالتي .. كلماته تترسخ في روحي .. حلمت أن أكون مثله يومًا ما .. ألتقي به .. أسمع ثنائه.

* ليبدأ مشواري الكتابي مع عدد من القصص الإلكترونية التي تحوَّلت بعد مدة لمشاركات ورقية والاستقلال بمجموعة قصصية خاصة بي باللغة التركية تحت عنوان *SAVAŞIN GÖLGESiNDE* (ظلال الحرب) وتلتها مشاركة أخرى لي في عروس العرب القاهرة في مجموعة "العازفون على أوتار الكلمات".

* ويعود سبب ذلك للمُبدعة فاطمة عمارة التي كانت لي

كالسراج الذي أضاء درب اللجوء المتخبطة به .. تمد لي العون في كل مرة أحتاجه..لتزرع في مبدأ أنني حاملة لرسالة يجب أن أوصلها لكل شخص قُدِّر له أن يقرأ كلماتي.

* كوني سورية حلمت أن أحمل رسالة توضح هويتي.. رسالة عن بلدي.. عن كل إنسان عانى في بلدي.. أحمل شغفي الدمشقي... رائحة ياسمين بلادي.. شموخ قاسيون.. لأوصلها بأمانة وبصورة جميلة..

* وها أنا اليوم أتابع الخطى على طريق حلمي لمشاركات أدبية أخرى علَّها تكون رصيد إيجابي في حياتي ككاتبة مبتدئة تسعى للتعمق أكثر في بحر الكتابة وخباياها.

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

"قهر الياسمين"

دخلت الصف وهي تطلق زفير قوي ينم عن توترها فاليوم قرَّرت أن تحكي لطلابها تلك القصة التي وعدتهم بقصَّها إن كانت درجاتهم جيدة وحان وقت تنفيذ الوعد.. ابتسمت للجميع المتأهبين كما كانت متوقعة لتتأمل وجوه طلَّابها بحب والماضي يتدفق لعقلها فتبدأ في الحديث دون أي مقدمات.

عندما تُغطي رائحة الموت الأرض والسماء وينتشر الألم...في كل زاوية تشتم رائحته..تشعر به حولك...يختلط الياسمين مع الدم...ينعجن الخبز مع الموت فتكون المآساة كبيرة، هذا يحدث في بلد تعيش الحرب منذ سنوات، تذوق المرارة في كل ثانية، تتجرَّع الأسى كل يوم.

(استيقظي بسرعة يا ياسمين) نهضت بسرعة وكأن أفعى لسعتها (هل بدأ القصف أمي؟) أومأت لها أمها بأسى وخرجت مسرعة من غرفتها ولتلحق بها تلك الفتاة تاركة كل شيء في مكانه كتبها، غطائها، وأحلامها كانت تركض بسرعة بين الناس وصوت القصف لا يهدأ فوقها، وفي كل مرة صوت يختلف عن الآخر...

تارة خفيف وبعيد وتارة يصبح أقوى وكأن الأرض تتزلزل..

في كل مرة يكون فيها الصوت أقوى ترى الناس تجمَّدوا والهدوء سيطر عليهم حتى تمر ثوانٌ ويعود كل شيء كما هو، الناس تركض من جديد، أم تحمل ابنها وهي تبكي، وذلك الرجل يمسك يد طفلته والنوم غالب عليها، وشاب يحاول مساعدتهم للوصول إلى الملجأ، كان الليل قد انتصف ولكن السماء مضاءة ليس بضوء القمر بل بتلك القنابل التي تسمى ضوئية...

نظرت ياسمين للسماء لترى أحد تلك القنابل تمر فوقها وهي تتمتم بخفوت (ألا يكفيهم القذائف العشوائية بل يريدون أن يعرفوا أين نحن أيضًا؟!).

نظرت بجانبها تريد أن تعرف هل خرج كل أهلها لكنها لم تجد سوى والدتها، حاولت الحديث لتسأل عن الباقي لكنها التزمت الصمت فقد حذَّرها والدها من التحدث أثناء إنتقالهم للملجأ حتى لا تثير أنظار الجميع أو تزرع القلق في قلوب من يتجهون نحوه.

كان المكان قريبًا جدًا من بيتها ذلك كما يطلق عليه أهل الحي ولكنه في الواقع لم يكن سوى طابق أرضي لأحد الأبنية العالية في البلدة التي غرقت بين الحطام ففي كل زاوية حائط في

الأرض.. حتى أعمدة الإنارة كانت مائلة والأتربة في كل زاوية وطبعًا الكهرباء معدومة عن الوجود.

اقتربت من الملجأ المكتظ بالناس.. وهي تسأل نفسها(ماذا لو كان هذا البناء هدف في يومٍ ما؟، ماذا سيحل بالجميع؟هل سيموتون تحت الركام هل سيجدون من يدفنهم..أو حتى يجمع أشلائهم؟)

سارت باتجاه باب القبو وما إن وضعت قدمها على أولى الدرجات حتى هزَّ المكان صوت قوي...صوت أفزع القلوب وجعلها ترتجف لقد كانت القذيفة قريبة جدًا منهم..تكاد تقسم أن الدرج اهتز من تحتها، نزلت على ركبتيها تُغطِّي رأسها بيديها من الخوف، لقد كان الصوت مرعب والأكثر رعبًا كان صوت الأسلاك الكهربائية التي من المؤكد أنها قد قُطعت فالضوء أصبح خافتًا وينذر بالانقطاع.

ولكن ماهو أقسى وأكثر وجعًا هو صوت بكاء الأطفال الذي عمَّ المكان..

تجلس مكانها بخوف ورعب وأصوات كثيرة تمر على رأسها، صوت الطائرة التي تدوي في السماء وأسلاك الكهرباء وبكاء الأطفال كلها تدور في رأسها كالدوَّامات.. حتى شعرت

أنها على وشك الإغماء من الخوف والتوتر، ولكن فجأة توقَّف كل شيء حين سمعت أحد الشباب يتكلم بصوتٍ عالٍ (هيَّا إلى الداخل بسرعة).

شعرت به يقترب منها يهزَّها بقوة حتى تعود للواقع ويصرخ بها(يا آنسة يا آنسة) وكأنها كانت في عالم آخر نظرت له برعب ولكنَّه ابتسم لها بثقة وهو يقول (مرَّ الأمر بسلام...القذيفة كانت قريبة، ولكنها لم تسبِّب أي خسائر...هيَّا إلى الأسفل).

هزَّت ياسمين رأسها بصمت ونهضت لتذهب حيث الناس تجتمع...لقد كان قبوٌ باردٌ جدًا عبارة عن غرفة كبيرة خالية من أي شي ماعدا مصباح صغير في نصف الغرفة، ذلك الضوء لم يكن مفيدًا أبدًا بل العكس لقد زاد الجو توترًا فطوال الوقت وهو يهتز ينطفئ لثانية ويعود للإضاءة وكأنها في غرفة تحقيق ، لقد كان موترًا جدًا ..

نظرت حولها تحاول أن تجمع شتات نفسها بعد الذي حدث منذ قليل، لقد كان المكان مليء بالبشر شيوخ ، ونساء، وأطفال، وبعض الرجال، ترى جارتها تجلس في زاوية الغرفة تحمل صغيرتها التي تبكي.. وامرأة كبيرة في السن تبكي بصمت،

ورجل مصاب في يده يتكأ على باب الملجأ.. أطفال كثر لطَّخت وجوههم الدموع والرعب.

كان هناك شاب يحمل سيجارة بيده وقدمه مربوطة بكثير من الأربطة بدا لها كأنه مصاب من قبل نظراته معلقة بالسقف ويبدو أنه يقول شيئًا ما لتركز سمعها والفضول يتلبَّسها لتعرف ما يقول (مآذنُ الشّامِ تبكي إذ تعانقني وللمآذن أرواحُ كالأشجارِ)

مسحت دموعها بطرف يديها وكلماته تنساب بين أوردتها وتنحفر في قلبها كالوشم لتنظر للطرف الأخر محاولة أن توقف دموعها لترى ذلك العجوزالذي تعرفه مسبقًا فهو مؤذن الجامع(هل زاد الشيب في رأسه أم أنها تتخيل ذلك؟) اقتربت منه وجلست أمامه القرفصاء كما يفعل هو لقد سمعته يردِّد بعض الكلمات بخفوت لم تفهمها كلها ولكنها عرفت أنه يتلو أدعية وبعض الآيات..

استجمعت قوتها وسألته (هل أنت بخير يا شيخ؟)

نظر لها بابتسامة سمحة: (نعم بخير وأنتِ؟) عادت للنظر إلى المكان تحاول أن تعرف إن كان خيرًا أو لا، ولكنها أجابت (أظن ذلك) كانت تتأمل الوجوه التي كساها الموت، لقد كانوا أحياء نعم، ولكن في الحقيقة لقد كانت وجوههم ميتة خالية من

الحياة...أرواحهم هائمة ضائعة وكأنهم يقولون للموت نحن على استعداد لك في أي وقت، (لقد فقدت زوجتي)..نظرت بصدمة نحو الشيخ ولكنها لم تتحدث حتى أكمل هو: (لقد فقدت زوجتي منذ قليل.. كانت القذيفة قريبة جدًا من بيتي وأصيبت.. لقد رأيتها تموت أمام ناظري والدماء تغطَّي وجهها تنظر إليَّ وتبتسم.. لم أكن قادرًا على الاقتراب منها بسبب القصف العنيف.. لم يسمحوا لي أن أودِّعها خوفًا على حياتي..أخذوها مني قبل أن أخبرها بأن سنوات حياتي كانت أفضل بسببها..أنني أحبها..أنني أشكرها على كل شيء قدَّمته لي في هذه الحياة).

كان يبكي مع كل كلمة يقولها.. رجل في الستين من عمره لطالما عُرِف بالوقار والرزانة، أما الآن فقد رباطة جأشه وانهارت دفاعته وكأنه طفل صغير فقد أمه، وهي كانت تبكي معه، كانت تريد مواساته ولكنها عجزت، تريد أن تقول له الكثير والكثير ولكن حروف اللغة اختفت والكلام اختفى.

وكأنه قرأ أفكارها فقد نظر إليها ليمسح دموعه ويُغطي فمه بيديه ليقول بصوتٍ شبه باكٍ: (لا بأس يا ابنتي، لا تتعبي نفسك بالكلام أنا أعلم أن هذا حال الكثيرين من أبناء بلدي وزوجتي

ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، وهذه هي الحرب تأخذ منا كل غالي وتتركنا وحدنا نجابه غيابهم، فالحرب ببساطة تسرق الأجساد والأرواح، تؤذي الميت والحي، حتى أن أذاها على الأحياء أكبر وأشد قسوة من الأموات، فنعاني من فقدانهم، دموعنا لا تجف أبدًا، نعيش في ترقُّب كل ثانية، هل سنكون الضحية القادمة أم سنكون من يفقد غالي أخر؟؟)

أومأت بصمت وهي تجيبه (معك حق..لقد أخذت الحرب مني أحلامي وسنين صباي..ربَّما هي لم تؤذني جسديًا ولكن أحلامي تبخَّرت مع دخان المدافع، ابتسامتي سرقها أزيز الطائرات، هي الحرب ببساطة.)

كانت تذكر كل حلم حلمت به، مدرستها ألعابها وحتى ضحكاتها.. رغبتها في أن تصبح معلمة والآن هي لم ترى مدرستها منذ شهرين تقريبًا.. صديقتها التي توفيت بسبب القصف في أحد الأيام.. وتلك اللعبة التي اشتراها والدها لها فأصبح مصيرها تحت الركام لأن بيت جدها وقع وأصبح سراب، صوت أخر هزَّ المكان تلاه عدة أصوات بعيدة أخرجها من أفكارها بخسائرها الشخصية لقد كان القصف هذه المرة أعنف، ولكن ما لفت انتباه الجميع هو الصراخ في الخارج (لدينا مصاب).

هذه الكلمة رسمت الرعب على وجوه الكثير من النساء فهناك مصاب فوق لا أحد يعلم من هو، من هي الضحية الجديدة؟ هل سيكون من ضمن فاتورة الحرب العالية، أم أنه سيكون من سعداء الحظ وتكتفي الحرب بسرقة جزء من جسده ربَّما يده أو قدمه وفي أحسن الأحوال ستكون إصابة خفيفة.

تصاعد بكاء أحد السيدات والجميع التفت إليها حتى سألتها واحدة منهن(لماذا تبكي؟) أجابت ببكاء (إنه زوجي..ربَّما هو المصاب لقد قال لي إنه سيبقى فوق ليساعد المصابين...يا إلهي زوجي) وعادت للبكاء من جديد بصورة أقوى.

حتى اقتربت منها امرأة كبيرة في السن وقالت لها بثقة وإيمان كبيرين: (اهدئي يا فتاة.. ربَّما يكون بخير، توقَّفي عن البكاء الآن، لديَّ ثلاثة أبناء في الخارج أحدهم كان مصاب منذ فترة بسيطة ولم أستطع منعه من البقاء خارجًا)

أجابتها المرأة الصغيرة بدموع: (لكن..)

عادت العجوز لتقول لها وهي تجرها من يدها لتجلس (من دون لكن، كل ما عليكِ فعله الآن هو الدعاء لهم).

عاد القصف من جديد مما جعل الناس تصمت بترقب هل

ستكون القذيفة القادمة قريبة أو بعيدة، هل سيكون هناك ضحايا جدد، أم أن القذيفة ستكتفي بالأبنية والحارات لتسرق جمالها.

لحسن الحظ كان المكان بعيد عنهم ولكن هل هو بعيد عن غيرهم لا أحد يعلم.

كانت تراقب الجميع بصمت وذلك الشاب الذي ما زال يتمتم بالشعر ونقاش النساء من حولها تارة يزرع فيها القوة وتارات الضعف والخوف لتقترب من الشيخ تحدِّثه بخفوت وكأنها تسأله سرًا (هل الموت مرعب؟ أم أن الحياة أشد رعبًا؟)

تابع الشيخ نظره للضوء المهتز وكأنه لم يسمعها ولكنها كانت متيقنة أنه سمعها فبعد صمت ثوانٍ أجابها: (حين تكون الحياة موجعة، القهرعنوانها والبكاء ميزتها، حين تكون الروح مُتألمة والوجوه تنذر بالموت في كل ثانية، الأرض تنزف والسماء تصرخ على حالنا، فالحياة عندها تكون أشدَّ رعبًا)

سألته مرة أخرى: (ولكن ما دمنا على قيد الحياة فالأمل موجود أليس كذلك؟)

هزَّ رأسه بموافقة على كلماتها (ما دمنا على يقين بأن الغمامة سوف تنقشع عندها الحياة تستحق المغامرة).

ارتسمت الثقة على محياها نعم فهو محق.. اليقين والإيمان هما ما ينقصنا في هذه الحالة، ربَّما الموت قوي ولكن الإيمان أقوى منه، ربَّما الموت جشع لكن تماسك الإنسان ينتصر على جشعه.

تذكَّرت كلام الشيخ عن زوجته وتلك العجوزعن أبنائها فازدادت ابتسامتها ثقة بأن الموت سيخسر هذه المعركة هنا، فهؤلاء الأشخاص أمثالهم كثر وبهم سوف يفوزون على الحرب.

أخرجها كلام الشيخ من خضم أفكارها عندما سألها:(بالمناسبة ما هو اسمكِ يا صغيرة؟)

ابتسمت له: (ياسمين).

هزَّ رأسه بتفهم وكرَّر اسمها (ياسمين..لقد أخذتي أجمل اسم في هذا الكون).

سألت ببلاهة: (أجمل اسم؟!)

أومأ لها: (نعم، أجمل اسم، لقد اختصرتِ سوريا كلها باسمك.. لقد عُرِفت على مر العصور بهذا الإسم، سوريا والياسمين لا يفترقان.. هي كالياسمين بنقائها، لقد عُرِف الياسمين ببياضه الناصع ورائحته التي تمس شغاف القلب، وشكله الذي يسكن الروح، وهكذا هي بلدنا تسكن الروح وتغزو القلب).

نظرت له بانبهار:(هذه أول مرة أسمع وصف بديع كهذا!).

أكمل لها الشيخ: (وأنتِ يا ابنتي كوني مثل الياسمين، لا تنطفئ روحكِ مهما حدث، كوني مثل سوريا شامخة مهما عصفت بكِ الحياة).

أجابته بثقة كبيرة: (بإذن الله).

سمعت صوت أحد الشبان يصرخ:(لقد توقف القصف).

لقد هدأ القصف فعلًا ونهار جديد يلوح في الأفق، ولكن إلى متى سيتوقف القصف؟ لا تعلم، إلى متى سوف يستمر هذا الحال؟ لا تعرف، كل الذي تعرفه الآن أن هذا الشيخ بثَّ فيها روح جديدة، روحًا مقاتلة سوف تسعى للحصول على كل ما فقدته وها هي الآن تقف بين طلَّابها لقد حقَّقت حلمها وأصبحت معلمة والآن تحكي قصتها لهم فرغم القصف والدمار، رغم الوجع والموت، كانت كالياسمينة الشامية، قوية، مقاتلة، جميلة، مُبهرة.

تمَّت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول..تحيَّة طيبة..

وأمَّا بعد..

إليك مني أرق تحيَّة يامن تقرأ كلماتي.. ربَّما أكون أخر شخص يحق له التحدث عن التفاؤل ولكنني مازلت متمسكة به حتى الرمق الأخير.

فبعد أن سُلخت عن بلدي عن شامي وبيتي فأصبحت لاجئة في الأردن انتقالًا للعراق وصولًا لتركيا فأخسر سبع عجاف من حياتي..خسرت فيهم دراستي فتوقَّفت عنها قبل أن أحمل شهادة تخرجي وأُكمل حلمي وخسرت معها شبابي لأشعر أنني كعجوز في عمر العشرين..

كانت تلك الأيام كالعلقم في طعمها والكحل في سوادها ولكنها مضت ومازالت تمضي لأجد نفسي غارقة في بحر الروايات والكتب التي كبرت عليها ولكنني أهملتها في خوضي معركة مع الحرب في بلدي وفي نفسي.. لأعيش من جديد الشغف

الذي فقدته..لأضحك وأنا أدفن الألم في القاع فأجد نفسي أخوض معركة جديدة.. أترجم خوفي من الحرب على الورق أصف ما أشعر به وما أرغب به بين القصص.. لتخط يداي أول قصة لي وتتبعها غيرها وغيرها لأصل للنشر الورقي فأصنع طريق جديد عليَّ.. أعوض فيه خساراتي.. أتحدث به عن نفسي.. عن مشاعري..أحزاني وأفراحي فيقرأه غيري ويشعر بما أعيش، لينطبق عليَّ ما قاله المبدع "أحمد خيري العمري" (ما دمنا نعاني بكل الأحوال، فلنجعل لمعاناتنا معنى).

وهكذا يا صديقي فعلت عانيت بما فيه الكفاية فقرَّرت أن أنقل معاناتي فأشعر أنني انتصرت على الحرب..قتلت وجعي بكلماتي.

وتأكدت أن كل شيء سيء يحدث لنا يتبعه شيء جيد يمحي مرارة سوءه ويجعله ذكرى مرَّت وانتهت.

أرجوك يا من تقرأ كلماتي لا تجعل لليأس مكان في حياتك، انهض وأفرغ حمولتك فيما تحب..اصنع من وجعك إبداعًا

محبّتي الأبديّة

المُخلصة

مريم شعبان

غلطة
بقلم
فاطمة عمارة

سطور من حياة

فاطمة عمارة

*تحتضني أمواج الكلمات بين شاطئين، وتختلط فيها الحروف بين سطور الصحافة والأدب، هكذا تمر الأيام بين كتابة مقال وفكرة قصة تراود نفسي لأنهيها، خطوات النجاح تسير جنبًا إلى جنب في مهنتي كصحفية ومساعد رئيس تحرير جريدة الأهرام، وفي هوايتي كقاصة، والمحُصِّلة إلى الآن مجموعة من التحقيقات والتغطيات الصحفية وما يزيد عن مائتي مقال للرأي تقف في ناحية ويقابلها في الكفة الأخرى مشاركة في أربع مجموعات قصصية لمُبادرة نساء مُبدعات للعمل الأدبي بقصص هي (**ليلة زفاف- عشقت جنية- ورقة طلاق- غلطة**) ومجموعة قصصية خاصة بي تضم عشر قصص قصيرة شاركت في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩ بعنوان (**بنكهة مختلفة**) من إصدارات دار الشهد للنشر والتوزيع، حدود حلمي تلامس السماء، وشكلها البسيط ألا يجف قلمي ويصمت لساني، كلمة أكتبها تؤثر في قارئها هذا مكسبي وهدفي الوحيد.

غلطة

وصلت لأذنيها همساتهن وغمزاتهن وجرحتها ضحكاتهن المكتومة، خبَّأت وجهها داخل الملف الموضوع أمامها في محاولة فاشلة لتجاهل ما يحدث حولها حتى ألقت إحداهن عبارة بشكل عفوي في ظاهرها مقصودة تمام القصد في باطنها لها دون غيرها، فقدت قدرتها على الاحتمال لتُلقي بقلمها على المكتب وتجري في الممر للوصول إلى دورة المياه تختبئ فيها لتطلق العنان لدموعها التي تحبسها.

سمعت طرقات على الباب ونداء باسمها من زميلتها عفَّت أكبر الموجودين بالمكتب، خرجت لها ووجهها مُلطَّخ بالأسود بعد أن سال كحل عينيها عليه، قابلتها بابتسامة دافئة وفتحت لها ذراعيها لتكمل البكاء في أحضانها وهي تمسد على ظهرها تهدِّئها بكلمات رقيقة طيبة مثلها، أفرغت مخزونها من القهر والدموع لتواجه السؤال المنتظر:

- لِمَ كل هذه الدموع؟

- ألم تسمعي كلماتهم الجارحة، نعم لم أعد صغيرة وكبرت في السن ولكنَّي لم أتعمد أن أفعلها والله...

قاطعت جملتها قائلة: وإن تعمدتِ فعلها ما المشكلة، ألستِ زوجة؟

- نعم بالطبع ولكن ابنى الكبير سيبدأ عامه الأول بالجامعة بعد شهور قليلة، أنا لم أتعمَّد إخفاء الخبر عنهن، فبالفعل لم أكن أعرف قبل أسبوع مضى.

نظرت لها لائمة: كيف هذا وأول علامة تدل عليه أنت فقط من يعرفها هذا بخلاف العلامات الظاهرة؟

- ما حدث أنني بالفعل أجريت اختبار منزلي وكانت النتيجة سلبية، فظننت أنني قد بلغت من العمر تلك المرحلة التي ينقطع فيها كل أمل ونتيجة لأكلي الكثير فما بي من زيادة في الوزن مجرد سمنة، ولولا ألم بطني ما كنت علمت حتى موعد الولادة، تنهَّدت بحرقة وهي تكمل غلطة مجرد حمل غلطة.

- نهرتها مرة أخرى ليست بغلطة إنها نتيجة طبيعية للعلاقة الزوجية، إنهن غيارى منكِ لأنكِ أثبتِ لهن أنكِ أصغرهن جميعًا ومازلتِ قادرة على الإنجاب.

أراحتها كلماتها المطمئنة لتدفعها بعد ذلك لتغسل وجهها وهي تحثَّها على تجاهل كل ما حولها.

جذبت طرفي معطفها في حركة عفوية منها اعتادتها منذ علمت بخبر حملها في محاولة منها لتخفي بطنها البارزة، تهرب بنظراتها من كل الوجوه، اقتنعت بكلام عفَّت ولكن لا يمكنها تطبيقه، لا تقتنع أنها في عمرها الذي قارب الخمسين أن تحمل وتبدأ مشوار التربية من جديد، وحماتها لم تترك لها فرصة إلا وألقت على آذانها كلمات مسمومة عن أنها متعمدة هذا لتظهر بمظهر الشابة الصغيرة وأن كل هدفها أن تربط زوجها بجوارها وتُثقل عليه بالمصاريف فلم تكتفي بثلاث أطفال في أعمار مختلفة بل أتت بمن يسرق لبه، وتستمر هكذا حتى تندفع إلى غرفتها في بكاء شديد لا يوقفه إلا صغيرتها وهي تطيب خاطرها وتُقبِّلها وتحتضنها.

أكثر ما يثير الحزن في نفسها شريكها في الجريمة كما أُطلق عليها، عندما نقلت له الخبر بمجرد أن عرفت وهي تبكي خوفًا ورهبةً، أصابه في البداية وجوم غريب ليندفع بعدها صارخًا يكيل لها الاتهامات أن كل ما حدث هي المسئولة عنه وأن هذه جريمة في حق نفسها قبل أن تكون في حق أسرتهم، وأنَّها تظن نفسها مازالت تلك الفتاة العشرينية لتحمل وتُرضع وتجري خلف طفل صغير، لتبرق عينيه بعد لحظة وهو يقرر أن يُجهض الطفل ليزيد

نحيبها ولا تجد ما تجيبه به ليجذبها دافعًا إيَّاها خارج الغرفة ليفرض قراره بشكل عملي بالتوجه للطبيب فيخرج صوتها محشرجًا "حرام.. حرام" وهو مستمر في طريقه يفتح سيارته الصغيرة يدفعها بداخلها ويلف يجلس خلف مقود القيادة، وهناك أعلن الطبيب أن الجنين وصل لعمر يصعب فيه إجهاضه وأن العملية أخطر على حياتها من استمرار الحمل، ليوجِّه نحوها عقاب جديد " الصمت" لا يتحدث معها إلا لُماما وينام في غرفة ابنهما الكبير، شهر كامل من القطيعة فرضه عليها وهي لا تعرف سببًا لهذا، هي زوجته الرسمية أمام الله ورسوله والناس أجمع، وهذا الجنين ابنه أيضًا، وعندما قرَّر أن يعود لغرفته كان بهدف متعته الشخصية ليس إلا.

لا تعلم كيف مرَّ شهرين منذ علمت بحملها وها هي في شهرها السابع تعيش يوم بيومه، فيوم تكون بكامل صحتها وآخر ترتفع نسبة السكر والضغط وقد حذَّرها الطبيب أنه على هذا المنوال سيضطر إلى ولادة مبكرة للحفاظ على حياتها، تحذيره لم يلق أي صدى لديها فجُل فكرها امتحانات أبنائها والحفاظ على تفوقهم والولادة في الوقت الحالي تسبب في تشتت تركيزهم.

ليس كل ما نتمناه يتحقق، منكبَّة على الأوراق أمامها في يوم عمل عادي وبدون مقدمات تشوَّشت الرؤية في عينيها ولم تعد ترى الكلمات، حاولت أن تقف ليصيبها دوار وتكاد تسقط لولا إمساكها في حرف المكتب، لفت ما حدث لها أنظار من حولها لتصمم إحدهن على ذهابها للمستشفى، شعرت بشيء يجري على ساقها لتدرك أنها تنزف، وشدَّت قبضتها على يد صديقتها جوارها لتنظر لها متسائلة لتهمس "إني أنزف، أشعر أن هذه نهايتي، أرجو منكِ أن تبلغي أولادي أني أحببتهم دومًا ولم أقصد أبدًا أن أبعد عنهم أو أظلمهم..." لتغيب بعدها عن الوعى، رفعت منال رأسها لتُحث السائق على الإسراع، وما إن وصلت أمام مدخل المستشفى جرت طلبًا للنجدة.

خرج الطبيب بعد عدة ساعات وعلامات الإجهاد بادية على وجهه نظر في الوجوه أمامه ليسأل عن الزوج، تقدَّم بهدوء يشوبه توتر ظاهر كأنه اكتشف في تلك الساعات الماضية أهميتها في حياته، تعلَّقت عينيه بشفاه الطبيب وهو يقول "الحمد لله استطعنا إيقاف النزيف في الوقت المناسب ولكننا اضطررنا إلى القيام بعملية قيصرية وعانى الصغير بعض الصعوبات في التنفس وتمَّ وضعه في حضَّانة..."

- قطع حديثه "لا يهم، المهم ميرفت هل هي بخير؟"

- صمت دقيقة كاملة قبل أن يكمل "النزيف الآن توقَّف ولكنَّها لم تعبر مرحلة الخطر فقد فقدت الكثير من دمائها وحاولنا السيطرة على ضغطها إذا مرَّت الليلة عليها بسلام فسيكون كل شيء بخير" تنهَّد قبل أن يكمل "الحمل في سنها به بعض الخطورة"

- ليردِّد بدون وعي " غلطة كانت غلطة"

مرَّت الليلة الطويلة عليه دون نوم، كل ما يجول في خاطره هو ماذا يفعل بدونها، إنه لا يعرف أي شيء عن البيت ونظامه، أولاده ومذاكرتهم ودروسهم، وهذا الصغير، تذكَّره في وسط أفكاره المتلاطمة فقام يبحث عن مكان الحضَّانة، أشارت له الممرضة عليه، صغير الحجم تتصل به عدة أسلاك وأنبوب حول أنفه ويرى حركة قلبه سريعة كأنه يجري في سباق، دمعت عينيه رهبةً أهذا الضعيف من استقوى عليه وهو لم يرى النور بعد، سمع سؤال الممرضة "ما اسمه؟" وجد نفسه ينطق بلا وعي "هادر" استغربت الإسم فكرَّرته عليه "ألا ترين كيف يهدر قلبه؟" لم تعقِّب ولكنها كتبته على الورقة المعلقة بحضانة الصغير وأضافت ليده أسورة جديدة باسمه.

أشرقت شمس يوم جديد، لتتغير فيه حياتهم، أفاقت ميرفت مجهده ضعيفة ولكن مؤشراتها الحيوية سليمة، حكى لها ما حدث وكيف أن رؤيته للصغير هادر غيَّرت فيه الكثير، لم يسمح لها الطبيب بالخروج من غرفتها ورؤيته فهي مازالت في حاجة للعناية، ولكن سمح لأبنائها بالزيارة ليدخلوا على قلبها البهجة خاصة عندما أراها محمد الابن الأكبر لها صور وفيديو التقطه للصغير، بكت وهي تقبل الشاشة.

مرَّ أسبوع على ولادتها، وهادر مازال في الحضَّانة، عادت إلى المنزل وتركته وحيدًا فأمامه شهر على الأقل حتى يمكنه الصمود وحده دون مساعدة الأجهزة، تكفَّل ممدوح في إحضارها يوميًا في الأوقات المسموحة بالزيارة ليطمئنا عليه، حتى سمح لهما الطبيب في يوم بحمله لمدة دقيقة كاملة.

اعتقدت أن كل الأمور أصبحت وردية، وأن الجميع تقبَّل هادر كجزء لا يتجزأ من حياتهم ولكنَّها مجرد أحلام وأمنيات، خرج الصغير من دنيته الصغيرة للدنيا الكبيرة، ليعيش وسط أسرة يراه أفرادها شخص زاد عن الحاجة، غلطة وفُرضت على الجميع، فلا أحد يطيق بكاؤه الطبيعي المرافق لسنه، الوحيدة

التي تقبَّلته صغيرتها وفاء، اعتبرته عروستها الجديدة، لُعبة تلعبها وقت فراغها عندما ترغب فيها، ولكن عندما تريد الأم مساعدتها تتحجج بمشاغلها ودراستها.

مرَّت الأيَّام وكبر الصغير وبدأ يتعلم الكلام، فشاغبه أخيه حتى علَّمه أن اسمه غلطة والتي تحولت بنطقه المنكسر "ألطة" التي أعجبته طالما يضحك الجميع عليها، لم تفهم مدرسته في الحضانة التي تركته فيها أمه معنى الكلمة حتى سألتها ليثير ردَّها استفزازها وهي تحكي لها عن شغب الأخ الكبير، فتحاول أن تتماسك وأن تشرح لها أن هذا يعد تنابز بالألقاب وأنه سيكون له أثر سيء على الصغير ولكن لا حياة لمن تنادي.

كَبر هادر وفهم معنى الإسم الذي أطلقه عليه أخيه الكبير، وأصبح والشغب متلازمان، وخاصةً مع تكرار عبارة "آه ما أنت جيت غلطة ومعرفناش نربيك" زاد من عناده وسوء تصرفاته حتى تم استدعائه أمام ناظر المدرسة، فأخطاؤه مقارنة بسنه الصغير تُعد كوارث سأله عن سبب تلك الأفعال فأجابه ببراءة "أنا غلطة وكل حاجة غلط" فشل الأخصائي الاجتماعي في تدارك الأمر مع والديه كما فشل معه من قبل، لقد اقتنع الصغير أنه من الطبيعي أن يُخطئ فهو الخطأ في حد ذاته.

وكان له نصيب من اسمه ولقبه مجتمعين، فصوته يهدر في أي مكان يتواجد فيه فيعلم الداخل بوجوده قبل أن يخطو خطواته الأولى فيه، وصوت ضحكاته ترج جسمه الضئيل تجعل الجميع يتعجَّب كيف تخرج هذه الأصوات القوية من هذا الجسد الضعيف، الصواب في عينه ما يراه هو فقط صوابًا لا يهم التقاليد أو الدين أو الأعراف، عرف طريق السجائر ولم يتجاوز أعتاب العاشرة، ولم يتأثر أو يهتم عندما ضبطه أبيه يدخَّنها في شرفة غرفته بل وقف بكل ما أوتي من جرأة مصحوبة ببجاحة يلومه فهو من لم يهتم به على الإطلاق يكفيه فخره الأكبر وتخرجه وعمله وزواجه، ومدلَّلته الصغرى التي لا يرفض لها طلب، حتى ابنه الأوسط نجح في حجز مكان في قلبه، أما هو آخر العنقود فهو كم مهمل، عضو زائد عن الحاجة لا يهم كيف سيكون كأنه ليس ابنه ومن صلبه، أخرج في لحظة كل ما حبسه داخله من مشاعر وعيون أبيه تجحظ وكلماته تقف متحجرة على طرف شفته اختبأت أمه خلف الباب تبكي وتكتم صوت فمها بيدها، لقد حذرته من إهماله للصغير وهو يصر إنه لا يفهم، وها هي حصاد أفعاله، عندما فشل في الرد عليه استدار خارجًا ليجدها وراء الباب تناظره بلوم وخلفها يقف شهود فشله أحمد ومنه بين ذاهل ومصدوم

ليطأطئ بعدها رأسه ويتجه إلى غرفته ليحاسب نفسه وحده بعيدًا عن عيونهم.

خرج بعد إعصاره الهادر بلحظات ينظر في الوجوه الثلاث وعلى وجهه ابتسامه ساخرة، اتجه بعدها نحو باب الشقة عازمًا الخروج في هذا الوقت المتأخر أوقفه ندائها باسمه بصوت خنقته الدموع، فتجمد مكانه فهو لا ينكر حبها اللامشروط له، اقتربت خطواتها منه لتمد يدها وتقربه من حضنها وهي تكمل همسها " أرجوك لا تخرج، لا داعي للهرب" إنها تفهمه، لا يعرف سببًا لصوت داخله يحثه أن يطيعها، استرخي جسده في حضنها يتمتع بحنانها ليستسلم لها وهي تسحبه عائدًا إلى غرفته ليستلقيا على سريره ويغفو في راحة بين يديها.

الألم في حياتنا صرخة أن هناك ما يلزم تغييره، وهو فهم الرسالة بأصعب الطرق، كان من الصعب عليه أن يعترف بخطأه بعد هذا العمر ولكن فليكن اعترافه بشكل عملي، عزم أمره وقرَّر محاولة إصلاح الأمر فليقترب رويدًا رويدًا وليستعين بمحمد وأحمد في إرشاده إلى ما يحبه من هم في سن هادر، عليه إنقاذ ما يمكن إنقاذه ففشله وسوء أخلاقه هو أحد المتسببين فيه.

أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي على الإطلاق، استيقظ على صوت الباب يفتح استمر في ادَّعاء النوم وفهم من دقات قلب أمه المسرعة إنها هي الأخرى تدَّعي مثله، شعر بيد تمسح على رأسه ثم يتبعها عدة قبلات صغيرة تبلِّل جبينه ففهم إنها دموع تسقط من عين أبيه، كتم أنفاسه وهو يسمع همسات غير مسموح لأحد بسماعها، اعتذار مكتوم وأسف على ما فات من عمر كان هو الخاسر الأكبر فيه ووعود بتعويضه عنها، لم تستطع أن تبقى ساكنه فمدَّت يدها تربت على كتفه وتهز رأسها بالموافقة، اعتدل واقفًا مُنهي لحظة الاعتراف.

حاولت الانسحاب من جوار هادر دون أن توقظه لتلحق بأبيه، إلا أن نشيجه أعادها لتعيده بين ذراعيها تحاول منحه حنان يحتاجه، ربتت على ظهره وهي تسأله "ولماذا البكاء الآن؟ ألم تشعر بقبلات أبيك على رأسك؟!"

تقطَّعت أنفاسه وهو يجيبها بين نحيب متزايد "لقد خذلته، لم أحترم شيب رأسه، ولا سنون عمره التي تجاوزت الستين، اتخذت الطريق السهل ولم أحارب لأكسب محبته..."

لم تشعر وهي تجاهد لامتصاص كل ما يعترك داخل رأسه الصغير بالذي عاد وسمع كل ما نطق به هادر، ولكن هذه المرة

مدَّ يده ليجتذبه هو داخل صدره، يجاهد ليمنع دموع ندم أن تسقط أمامها وأمام من ظُلم بينهما.

تحشرج صوته بكلمات صادقة "بل أنا من أخطأ في حقك وحق نفسه، لقد ظننت أنه من الأفضل لك أن تتعلق بواحد من أخوتك الكبار بدلًا مني فالقادم من عمري بأي حال لن يكون مساوٍ لما مضى، خفت عليك ألم الفراق وآثرت البعد، اعتقدت أنك ستكتفي بحب أمك وحنان أختك، وسيكون أخوتك قدوة لك وستتعلم منهما كل ما علمته أنا لهما، ولكني أخطأت في حساباتي، فلماذا أحرمك من حب وحنان أب مازال على قيد الحياة؟"

لم يستطع الحديث أكثر من هذا، وأفرغ الثلاث كل ما يعتمل في صدورهم، تعاهدوا أمام الله على التغير، وأن الصراحة والوضوح أساس العلاقة بينهم، وأن البداية في هذه اللحظة، وقف وجذبه معه ثم التفت لشريكة عمره يمد يده لها ليساعدها على الوقوف وكمن يُصدر قرارًا هامًا أعلن أن يستعد الجميع ليُصلوا معًا شكر لله الذي منَّ عليهم بهذه الفرصة للإصلاح ثم عليهم تناول الفطور معًا، ابتسم هادر في سعادة حقيقية وسبقهما ليستعد في حين نظرت له ميرفت وهي تردد "الحمد لله".

لا أحد يعلم ما حدث لتتغير شخصية هادر كل هذا التغير، اجتهد في دراسته وشارك في الأنشطة التنافسية ووافق أخيه على ممارسة رياضة دفاع عن النفس يخرج فيها طاقة الغضب خاصته، واليوم يجلس جميع أفراد عائلته في مدرجات الاستاد في نهائي بطولة الجمهورية تردد أمه آيات القرآن أن يحفظه لها فهي لم تتقبل تلك اللعبة العنيفة رغم تفوقه فيها بينما يجلس أبيه وأُخوته وهتافات التشجيع تخرج منهم مع كل حركة حتى أعلن الحكم انتهاء المباراة لصالحة ليقفز الجميع مهلِّلين بينما هادر يبحث في الوجوه عن عينين فخورتين به حتى وجد أبيه يبكي ويضحك ويصفق له بشدة، وقتها فقط رفع رأسه بفخر وهو يبتسم بانتصار.

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول..تحيَّة طيبة..

أمَّا بعد...

الحياة رحلة وجب علينا القيام بها مهما كانت حالة الطريق والظروف المحيطة، تارة تجري بسرعة، وأخرى تسير كالسلحفاة، البعض منا لا يعنيه المسافات المهم أنه استفاد واستمتع بها والبعض يحمل هم الطريق وطوله وما استنفد فيه، أنتمى إلى الفريق الأول الذي قرَّر الاستمتاع بكل مرحلة من مراحل حياته، فللطفولة براءة وللشباب جمال وليأتي بعدها سن الاستقرار والتحول الحقيقي سن تمام استواء البنية العقلية والجسمية وليس بداية الشيخوخة والخمول كما يتعامل البعض.

كخيول السباق التي غطَّت أعينها بغمامة أسير، فلتحقيق النجاح نُحدِّد ما نسعى حثيثًا للوصول إليه ولا نلتفت إلى غير ذلك مهما زادت المغريات، ولا يتعارض هذا أن يرافق طريقنا للهدف استمتاع بالحياة ذاتها فكل ما تحتاجه مجرد تنظيم الوقت وحُسن إدارته.

والحياة في حد ذاتها معجزة، فأعظم معجزة هي كوننا على قيد الحياة نتفاعل ونتشارك فيها بكل حلو أو مر يمر

علينا ونختبره ونتعلم منه ثم يأتي الحب مرافقًا لها، وهو ذاك الشعور الذي يجعل منا إنسان يشعر ويتأثر بما وبمن حوله ووقتها وهذه هي الثروة الحقيقية قلب يحب الغير فمن ينشر الحب يقابله حب مماثل.

والإبداع هو أكبر معجزة رزقنا الله بها، فلقد خلقنا بإمكانيات لا محدودة يجيد البعض استغلالها واستخدامها فيَخلق معجزات جديدة تضاف إلى رصيد الحياة والبعض يفشل ويقف كالعاجز أمام البحر لا يملك شجاعة الخوض بين أمواجه على الرغم من قدرته على السباحة ومعرفته لقانون الطفو، أما أسوء النماذج التي من الممكن أن نقابلها هو من يسعى إلى قتل معجزة غيره لعدم استطاعته ترجمة أحلامه لواقع يحقق بها معجزة خاصة به.

إن الأمر بين يديك لترى أن الحياة رحلة ممتعة وسباق شيِّق ومعجزة رائعة، اختار طريقتك لتحيا، وتأمَّل كل ما حولك أولًا ثم قم بكل ما يلزم لتحقيق أحلامك، ووقتها لن تكون حياتك عادية..

محبّتي الأبدية

المُخلصة

فاطمة عمارة

قلب المدينة
بقلم
فيفي جابر

سطور من حياة

فيفي جابر

* مواليد محافظة الدقهلية - مدينة المنصورة سبتمبر ١٩٨٤م

* تملَّكني الشغف بالقراءة منذ بداية المرحلة الابتدائية، كنت أضع ألحانًا للأناشيد وأُلقي الشعر والزجل بالتنسيق مع مدرس الصحافة في فقرة الإذاعة المدرسية، بينما الكتابة منذ الثانية عشر وسبقها حب الموسيقى وممارسة العزف على آله الإكسيليفون، بداية كتبت الأغاني العامية، ثم مسرحية بعنوان(**صابحة بائعة اللبن**) من نوع الأدب الشعبي في سن الثالثة عشر، ونلت عنها شهادة تقدير في المرحلة الثانوية في مسابقة الإدارة التعليمية للمحافظة.

* وكانت لي عدَّة محاولات في كتابة الرواية قبل أن أتم الثامنة عشر، أنجزت منها رواية بعنوان **"لقاء المشاعر"** وتعتبر العمل الروائي الأول والأخير حتى الأن، لم يتوقف عشقي للكتابة رغم توقفي عن ممارستها فترات متقطعة طويلة امتدت أحيانًا لسنوات...

* بدأت المرحلة الاحترافية في عالم الكتابة بصدور ديوان النثر الأول إلكترونيًا عام ٢٠١٠، ثم تطرَّقت لكتابة القصص القصيرة، وكان الأمر بمثابة مفاجأة لأنني تخيلت نفسي دومًا شاعرة وروائية فقط، شاركت بكتابة القصص القصيرة في عدة أعمال جماعية وحصدت عدة جوائز تقديرية عن أعمال قصصية أخرى.

الجوائز:

* جائزة رولا حسينات مسابقة القصة النسائية المركز السابع: قصة قصيرة (**دوائر مغلقة**).

* جائزة مؤسسة لوتس للتنمية الإنسانية أدب القصة القصيرة جدًا المركز الخامس (**آوان الفرح**).

* جائزة حركة نشر الثقافية المركز السابع قصة قصيرة (**حفل توقيع**).

الأعمال المطبوعة:

* قصة قصيرة (**الشفق**) كتاب الكتاب دار الحلم للنشر.

* قصة قصيرة (**معجزة**) كتاب ألم الاشتياق دار الحلم للنشر.

* قصيدة نثرية (**فتاة القصيدة**) كتاب ماريونت دار الحلم للنشر.

* جريدة اللواء العربي قصة قصيرة (**شمس**).

* مجلة مزاج مصر، قصيدة نثرية (**لعلي سوف أحبك**).

***

* ديوان نثر إلكتروني (**أشواق وأمواج**) موقع مروة رخا.

***

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

قلب المدينة

عند كل صباح
تنزع اللهفة فتيل جنوني
كما تنزع الشمس فتيل النهار
فيسبق جنوني كل منطق
أين أنت أيها المحتل الغائب؟
وأين أنا من حدود احتلالك؟

مضت تقطع الشارع الكبير عقب مغادرة بيتها في قلب المدينة، بعد أن قدَّمت للقطط طعامها وللورود مائها وللعصافير حبوبها..

على مهل ترتحل في حجرات عقلها تبحث عن شيء ما تود أن تُدرجه في روزنامة لقائها المنتظر بعد قليل... تسير بخطوات إيقاعها رقصة ما لا تعرف اسمها ولكنها تجيدها تمامًا في أعماق نفسها، ربَّما تبحث عن اسمها في وقت ما..هكذا قالت لنفسها.. لم تنس حقيبتها، فهي الأهم.. رتَّبت بداخلها أوراقًا بيضاء وبضعة أقلام رصاص وممحاة، تظن أنها ستنتصر اليوم أنهت الطريق الذي تحفظه عن ظهر قلب، وزَّعت سعادتها على

كل الذين مرَّت بهم، لم تنسى أحدًا من الغرباء، لعلهم منهمكون للذروة في روتينهم لدرجة ألا يلحظونها، لكنها مجبرة على أداء واجبها بالحب تجاههم.. سيحتاجونه بلا شك، لذا فليكن في أرصدتهم لوقت الحاجة...

مرَّت من فوق شريط السكة الحديدية، هنا تحديدًا في هذه البقعة كانت الحادثة التي غيَّرت حياتها.. بقى القليل الآن.. دفعت الباب الزجاجي للمقهى بحزم وعبرت الممر القصير من المدخل دون أن تعير نظرات الجالسين اهتمامًا، فلقد اعتادت الأمر الأن.. سارت بضعة خطوات حتى الطاولة الكائنة بركن المقهى.. وضعت حقيبتها بهدوء وظلَّت واقفة ترقب حركة المارة خارج المقهى عبر الواجهة الزجاجية.. نظرت في ساعتها ثم أردفت.. بقى قليلًا الآن.. جلست وراحت تعبث في أحشاء الحقيبة، بعد قليل جاءها النادل بفنجان من القهوة، تركه على مسافة حيادية من حزمة أوراقها وغادر مسرعًا دون أن ينطق بكلمة وهو يخفي تعبيرات وجهه!.. لم تلتفت نحوه وظلَّت منهمكة في الارتحال داخل أروقة مخيلتها ثم بدأت تكتب...

"بكف رقيقة دفعت الفتاة السمراء باب المقهى الزجاجي،

وطأت أقدامها الداخل تسير على مهل، عيونها تدقِّق في وجوه الجالسين تبادلهم التحيَّة، ومن خلف البار أيضًا أشار لها النادل بيده الفارغة من العمل وحيَّاها بإيمائة حميمية وهو يبلغها رسالة ما، جلست الفتاة السمراء في زاوية المقهى، وأخرجت من حقيبتها حزمة من الورق وبضعة أقلام رصاص، رغم الجو الممطر لم تتخلى عن المجيء، لم تهزم حماستها السماء الرمادية ولا كآبة صورتها، أمسكت فورًا بأحد أقلامها المبعثرين كخصلات شعرها البنية، وهي تعيد تنسيق رزمة الورق البيضاء وتهذيب أطرافها كما تعتني بأناقتها، جسدها النحيل يعلن عن أنوثة هادئة، بشرتها المائلة للسمرة تحمل وسامة فريدة، كأنها تندرج من سلالة نفرتاري.. الضوء الخافت المنبعث من المصباح الرئيس في سقف المقهى ينزلق ضوئه الأصفر على وجهها يزيدها نعومة وجاذبية، وينبثق من عينيها ببريق خاص..

تركت مراقبة زوار المقهى وأرسلت نظراتها نحو الخارج عبر الواجهة الزجاجية، تحملق في وجوه العابرين، وتنقل بصرها سريعًا إلى ساعة يدها، اكتشفت أن الوقت لازال باكرًا.. قرَّرت أن ترخي روحها وتعاود الإمساك بالقلم؛ جائها النادل بفنجان القهوة الذي اعتاد تقديمه إليها في نفس الموعد اليومي، عبَّأ رئتيه

بعطرها الفريد ونال ابتسامتها الساحرة ثم غاص راضيًا إلى عمق المقهى من جديد، كأنه أعاد شحذ طاقته التي أوشكت على النفاذ.. أمسكت بقلمها وبخار القهوة يتسرب إلى أنفها يستنفر حواسها برائحته الذكية...

"كان يا مكان، كانت فتاة.. يولد الربيع بابتسامتها، العالم يسوده السلام بسكينتها، ثرية بكنوز من الحب، لكنها لم تكن جميلة ولا رشيقة، لم تكن مثل رفيقاتها تعرف كيف تكون جميلة، أو أنيقة، كان كل أفراد عائلتها ينادونها "بدينة"..

-يا بدينة اذهبي..

- تعالي يا بدينة..

- يا بدينة..

- يا بدينة...

بكاؤها لسنوات لم يجعلهم يتخلُّون عن فظاظتهم، ولم تعرف كيف تتخلص من بدانتها، بل كانت تزداد بدانة حتى اندثرت ملامحها تمامًا تحت وطأة طبقة كثيفة من الدهون تستولي على وجنتيها.. فلمَّا بلغت الرابعة عشر، كان الغرباء ينادونها(حاجة)؛ ولطالما لم تعرف سوى البكاء حلًّا لمأساتها،

ذات يوم كانت قد توسَّلت لزميلتين لها أن ترافقهما في طريق العودة من المدرسة، وافقوها بشرط أن تتبعهم ولا تسير بالقرب منهن، فرحت بموافقتهن ولم تكترث بالشرط، دومًا كانت وحيدة في ذهابها وعودتها ويسكنها الحزن، أما في ذلك اليوم كانت تغني سرًا وترسل للكون والكائنات رسائلها المتوهجة بالحب.. بعد أن قطعت نصف المسافة تقريبًا تتبعهم بسعادة، فجأة ظهر من شارع جانبي فتيان في مثل عمرهن تقريبًا، فطنت أنهم ينتظرون عن عمد، بمجرد ظهورهما صاروا يتبعونهن، بالأحرى يتبعون زميلتيها، بطَّأت إيقاع سيرها خشية أن يراها أخيها أو أبيها أو أحدًا من المعارف أو الجيران، ويظنون أنها على علاقة بهاذين الشابين.. أصبحت بعيدة بقدر مترين تقريبًا، منحت تلك المسافة الحرية لهما في مغازلة الفتاتين واستقبال ضحكاتهن وغنجهن.. صارت هي في حالة واضحة من القلق والارتباك، وفي حين كانت غارقة في ندمها على طلبها مشاركتهن العودة، صاح أحد الفتية في وجهها وهو يتحدث للفتيات بلهجة ساخرة.

-كيف تسيرون مع هذه البدينة؟ انظروا إليها، ولمظهرها القبيح، أين هي من جمالكن؟

فطرت قلبها كلماته، وانهمرت الدموع من عينيها، بينما غرقوا جميعًا في نوبة ضحك هيستيرية، لم تظن أبدًا أن السعادة التي حظيت بها في بداية الطريق، ستتحول إلى تعاسة تامة في نهايته.

في ذلك اليوم وبعد انتهاء بكاؤها الذي استمرَّ لساعات، قرَّرت أن تحب، تحب بكل قوتها، حتى بكل بدانتها التي صارت هويتها!

في اليوم التالي عشقت ابن الجيران، كان وسيمًا وبعيدًا لدرجة ألا يلحظ أنها تبادله حبًا من طرف واحد.

ثمَّ بعد عامين ذاقت فيهما مرارة الحب وحلاوته وتعاسته وجنونه، انتهى بها الأمر لتمر بألم الفراق.. عندما علمت أن حبيبها على وشك الارتباط بابنة جيرانهم في المبنى الذي يسكن فيه.. في حين لم يدري أحد شيئًا عن عوالمها التي يحرِّكها الحب؛ لم تتوقف والدتها عن مناداتها بالبدينة، ولا أحدًا من أخوتها الذين يصغرونها، ولا جدتها ولا زوجة عمها ولا ابن خالتها ولا أبناء الجيران قصار القامة..

بعد أن وصل ألم الفراق لذروته وكاد يتلاشى، قرَّرت أن تحب من جديد، هذه المرة زميل دراستها.. بعد أن أتمَّت عامها السابع عشر، وقد حقَّقت الرقم القياسي في البدانة لدرجة أن قصار القامة الجدد يلقبونها "الجدة بطة"، كانت قد انتهت من حب مدرس اللغة العربية وتخلَّصت من ألم فراقه..

وبعد أن وصلت للعشرين وبعد مدة طويلة لم تجد فيها من تبادله حبها المنفرد، أخيرًا صادفته، كان شابًا وسيمًا كنجوم السينما، رأته على بغتة من شرفتها، مرَّ مسرعًا كالبرق، بدا كسهم منطلق في خط مستقيم من شدة سرعته، لكنها كانت دقيقة في التقاط أثره، في تلك اللحظة خالجها شعورًا لم تعرفه من قبل، كان الحب في ثوبه الناضج، ولكنها كانت بدينة للغاية، ومظهرها رث للغاية، ولا يظهر من ملامحها سوى نظرتها العاشقة!

راحت تحدق لصورتها في المرآه في يأس، وتساءلت؛ لماذا ظلَّ الجميع ينادونني بالبدينة طوال السنوات الماضية، دون أن يتقدم أحدًا منهم بالمساعدة لأتخلص من بدانتي؟

تذكَّرت الشاب الوسيم الذي عشقته منذ قليل، وقرَّرت في هذه

المره أنها ستعلن عن حبها رغم بدانتها وما تلحقه بها من هزائم!

وأخبرت ورودها وقطط الشارع والعصافير التي تهبط يوميًا لالتقاط الحبوب من فوق سور شرفتها، أصدقائها الذين يعلمون تكسرات روحها، أخبرتهم أنها ستتبع ذلك الشاب في المرة القادمة التي يعبر فيها الشارع، وستخبره أنَّها أحبَّت لأول مرة، أخبرتهم بنبرة هزيلة ورغبة مهزومة، كانت قوَّتها تتضاءل تحت وطأة حقيقتها

كانت تعرف أن مصير حبها سيكون مثل ما سبقه!

مضى شهرًا وشهرين وعامًا دون أن ترى هذا الشاب مرة أخرى، كانت تعيسة وقنوعة، تتساءل: ترى هل تزوَّج وهاجر إلى بلاد بعيدة؟، ترجو ظهوره وعدم ظهوره في آنٍ معًا!

وفي أحد الأيام، وأثناء نثرها الحبوب على سور الشرفة كعادتها؛ رأت سهمًا يشق الطريق من جديد، في زمن الفمتو ثانية وجدت نفسها خلف هذا السهم تتبعه بسرعة بالكاد تلحق به.. بينما هو يقطع الطرقات متوهجًا يشق الزحام بلا توقف، وهي تلهث لئلا تفقد أثاره من شدة سرعته، هل شعر بوجودها؟ كان يلتفت ورائه من حين لآخر وسط ذروة سيره.. جعلها ذلك

تصدق أنه يلتقط ذبذباتها الحسية، وأن كل ما يحدث الآن من جنون هو إشارة من القدر وعليها أن تتبعها..

في كل مرة كان يلتفت فيها وينظر خلفه كانت تختبئ خشية أن يراها، هي في البداية ظنَّت أنها ستكون شجاعة والآن هي تعلم أنها أكثر جبنًا مما ظنَّت تبعته حتى وصل إلى طريق تحفظه عن ظهر قلب، كان الطريق الذي سارت خلاله ذهابًا وإيابًا طيلة أعوامًا ثلاثة ريثما انتهت من دراستها الإعدادية، النقطة الفاصلة ما بين حدود المدينة الشرقية عن حدودها الغربية، خطوط السكك الحديدية، مرورًا بنفس المكان الذي شهد حادثة تحطيم كبرياء أنوثتها وقتئذ، والمفارقة التي غيَّرت حياتها منذئذ حسبما تظن!

اختبأت في عمق جدار تسترق نظراتها إليه حيث توقف، كان ينوي الدخول إلى مقهى قديم اعتادت المرور به في الزمن الماضي، أخرج هاتفه وأجرى اتصالًا، راقبت حركة شفاهه لعلَّها تستقرئها؛ المسافة الشاسعة بينهما حالت دون ذلك

المحال التجارية في ذلك الشارع ضمنت سريتها، حيث الشارع مزدحم بالناس المقبلة على الشراء أو مجرد التسكع..

بعد أقل من دقيقة ودعت وجوده من أمامها؛ دخل ذلك المقهى وخلفها للخواء يتلقفها..

أي شعور بالغربة احتلها بعد تلاشي صورته؟؛ وأي صقيع يذكرها بالوحدة التي ستؤول إليها مجددًا بعد انتهاء لحظاتها الأكثر جنونًا.. تسرَّبت شحنات الإدرينالين رويدًا رويدًا، لم يتبقى منها سوى رائحة العرق ومائه يتصبَّب في أنحاء جسدها تاركًا أثره على ثيابها.

داهمها شعورًا بالحزن تلاه خوف جثم على روحها، تقزَّمت حتى كادت تصير في حجم النملة!، تساءلت وهي تمحي بسرعة بصيص دموعها لماذا لم تُخلق نملة؟!

عادت أدراجها تلملم رقاقات روحها الجديدة وتحيلها إلى خزنتها السرية... لم تبكي كثيرًا تلك المرة، فلقد عزمت على تكرار الأمر، على أن تتم جنونها للنهاية، ستكون نهاية القصة سعيدة، تخبر نفسها أنه لن يكون حبيبًا قاسيًا، وسيكتشف حقيقة أنَّها أرق وأعذب من بدانتها، سيتمكن من إبصار الفتاة السمراء التي تخفي وسامتها طبقات من الدهون، وبالتأكيد سيعشقها في اللحظة التالية...

في صباح اليوم التالي حاولت التأنق بقدر ما وسعها؛ ثم ذهبت حيث المقهى الذي دلفه البارحة، استجمعت شجاعتها، وسحبت شهيقًا عميقًا كما لو كانت على وشك الغوص في أعماق المجهول؛ دفعت الباب الزجاجي للمقهى بحزم وعبرت الممر القصير من المدخل.. سارت بضعة خطوات حتى الطاولة الكائنة بركن المقهى.. وضعت حقيبتها بهدوء وظلَّت واقفة ترقب حركة المارة خارج المقهى عبر الواجهة الزجاجية.. نظرت في ساعتها ثم أردفت.. بقى قليل الآن.. جائها النادل على وجهه علامات الدهشة كبقية الموجودين في المكان، يسألها ما الذي تريده لعلَّها ستغادر بعد ذلك!.. لفحت أنفه رائحة عرقها الذي يتصبَّب على جبهتها ووجنتيها ويبلِّل ثيابها، ابتعد مسافة متر تقريبًا ثم سألها بلطف مصطنع: ما طلبك سيدتي؟ كانت تحمل حقيبتها المسلحة بأقلام وأوراق؛ لم تعير نظراته المتقززة انتباهًا وسحبت مقعدًا خلف الطاولة؛ جلست وهي تجيبه بسؤال خطر لها في تلك اللحظة: أليس العالم بمكان قاسي؟!

تجمَّد أمامها للحظات ثم أجابها: سآتيك بفنجان من القهوة في الحال..

وضعت الفتاة السمراء قلمها وهي كانت باقة من الورود الحمراء تلامس وجنتها وتداعب أنفها؛ رفعت رأسها وهي تبتسم لرؤية حبيبها، لم يتأخر عن موعدها كعادته، جلسا يحتسيان القهوة.. في وداعه لها كانت تعانقه بعينيها وأناملها تداعب خاتمًا في بنصر كفَّها الأيمن اعتادت تقبيله من حين لآخر"...

أنهت قصتها وهي لم تزل تراقب حركة الطارة خارج المقهى.

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

وأمَّا بعد..

أكتب إليك هذه الرسالة اليوم بيد واثقة، يد مرَّنتها الحياة على أن الأحلام بذور المستقبل، وأننا لابد أن نغرس تلك البذور في حقول شاسعة؛ دون تردد أو خوف!

منذ لحظة الحلم الأول، بخبرتنا المحدودة وقدارتنا الضئيلة، وبجهودنا الصغيرة، علينا فقط أن نرعى أحلامنا لتنمو وتصير حصادًا.

يدي التي ارتشعت كثيرًا في معارك وصراعات ونزاعات، ألحقتني هزائم وخيبات لا حصر لها، وسقطت مرارًا في فخ اليأس جرَّاء مكائد الحياة وفقدان الأحبة وانهيار الأحلام ومطاردتها دون جدوى لتحقيقها، تلقنت درسها جيدًا وستظل تتلقى دروسًا على مدار عمرها.

الخوف من مواجهة تحديات الحياة أشبه بتكبيل أرواحنا بقيود وهمية، واختيار الموانئ الآمنة دومًا والبقاء على الحياد هو بمثابة العيش داخل سجن اختياري..

ستذرف الدموع، ستفقد أصدقاء مزيَّفون، وأحباء غير مخلصين، ومقربين يتربصوا بسعادتكِ، ستخور قواكِ وتستنزف روحك مرارًا، ستنهب الحياة وجدانك وستسقط صريع أفكارك المثالية حول العالم وإيمانك بعبقرية الأشياء.

لكنك ستولد في كل مرة من رمادك؛ ستنضج ويصبح لك جناحان سريان لتُحلق في كل مرة بثقة أكبر، أنت صانع قصتك وبطلها، إذا جئت إلى هذا العالم فلمجيئك سبب، لا تتوقف عن البحث ولا التجربة، سعيك هو سر سعادتك لاحقًا، كذلك ستكون غنيًا بالصبر والحكمة، لا تخشى الألم، فهو مصنع القوة.

الحياة ليست الباحة الخلفية لمنزل يطل على البحر، وليست جحيمًا في المطلق، ستظل تدهشك بأفعوانيتها وتهديك أفراحًا من حين لأخر، اعطي للفرح حقه، ولا يخدعك سلامها المؤقت.

لا تتوقف عن رعاية أحلامك.

محبتي الأبدية

المُخلصة

فيفي جابر

"فرحة"
بقلم
د/ فاطمة الزهراء الحسيني

سطور من حياة

د / فاطمة الزهراء الحسيني

* فاطمة الزهراء الحسيني طبيب مقيم أمراض الصدر والحساسية، حصلت على بكالوريوس الطب والجراحة جامعة المنصورة دفعة ٢٠١٢، صدر لي مجموعتين قصصيتين.. **"القبر المنسي"** و**"شعب البالوعة العظيم"**، كما شاركت في مجموعات قصصية جماعية **(الأكواريوم- حواديت- الفتيات لا تحب فصل الربيع - وجوه آيلة للسقوط- ملحمة القلوب)**

* أتمنى أن تحمل كتاباتي السلام والمحبة للبشرية جمعاء.. أن تستطيع إيقاف العنف والتنمر.. أن تجفف الدماء البريئة الطاهرة.. أتمنى أن تتحول كلماتي إلى حمامات السلام تحلِّق في الأجواء لتمنح هذا العالم ما ينقصه من الحب والأمان.

* هل للأحلام سقف؟.. الأحلام ما أن توهب لها أجنحة حتى تحلِّق بعيدًا.. أمَّا عن حلمي الأكبر وهمي الأعظم أن نعود لإنسانيتنا التي سقطت منا بينما نجري خلف الرغيف.. أن يعود الحب الإخلاص وأن ينتهي الحقد وتموت الكراهية ويندثر الجهل.

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

" فرحة "

لست أدري أين نقطة بداية قصتي.. لكنني سأختار أن أبدأ من لحظة ميلادي لم تكن لحظة ميلادي مميزة، فلم يكن منزلنا مرصَّعًا بالبهجة.. كان الجدار يرتدي ثوب الحزن الكالح، والنمارق بائسة هزيلة، وثوب جدَّتي التعس اتسخ بسائلي الأمنيوسي بينما كانت تساعد الداية في استقبالي.

تقول جدَّتي: أشهر حمل والدتكِ بكِ كانت أشد أشهر حياتنا ثقلًا ، أخذ والدكِ أختكِ الكبرى بعدما طلَّق والدتكِ طلاقًا لا رجعة فيه.. تمنَّينا جميعًا.. أن لا تولدي أو على أعلى تقدير.. أن لا تولدي فتاة، حين رأتكِ والدتكِ بكت قالت: "فتاة أخرى.. عبء آخر.. من بوسعه أن يتحمل كل هذا..؟"

وقتها أشفقتُ على والدتكِ.. قلت لها لا بأس سأربيها أنا فقد كبرتُ وخلت الدار من القدم.. وأنا بحاجتها تمامًا كما هي بحاجتي

وقتها ابتسمت والدتكِ.. وسألتني ماذا سوف تسميها يا أمي..؟

"فنظرتُ إليكِ.. وأجبتُ فرحة"

لطالما تساءلت ماذا لو التقيت أبي يومًا ما في أحد الأزقة..؟ هل كان سينظر إليَّ ويتعرف على الشطر الذي يخصه بملامحي وحركاتي وطريقة ضحكته؟!

تجيب جدتي: أنني أشبهه كثيرًا.. كلَّما سألتها كيف كانت ملامحه؟

و تصر أنها حاولت أن تثني والدتي عن إحراق جميع صوره، وأنها حاولت الاحتفاظ بصورة من أجلي لكنها لم تفلح.

ثم أتساءل كيف صارت أختي ليلى.. هل هي رائعة الجمال مثل والدتنا.. أم كاسدة القلب مثلي..؟

إن أمثالنا يا ليلى هم من يدفعون ثمن الخيارات الخاطئة يدفعون الثمن غربة وفرقة ووحشة.. ماذا كان سينقص من هذا العالم لو حصلنا على ذكريات مشتركة..؟ أرتدي ثوبك الذي تحبين دون علمك.. ثم تكتشفين الأمر ونتشاجر طوال الليل.. ثم أعتذر لكِ قبل أن ننام.. وأهمس في أذنكِ تصبحين على خير يا أختي الكبرى..؟

وفي الصباح الباكر نذهب إلى مدرستنا فتتشاجرين من أجلي مع تلك الفتاة التي لا تنفك عن محاولة مضايقتي والنيل مني.

ماذا لو كنتِ هنا أو كنت معكِ هناك.. تمسك إحدانا يد الأخرى..؟

تمشَّطين لي شعري.. وربما تسحبينني منه إذا لزم الأمر كان أبي أخر من تبقى من عائلته لذلك رحل دون أن يلتفت خلفه.. دون أن ينظر إلى الوراء.. دون أن يفكر.. حمل ليلى على كتفه وغادر.. ماذا عني ألست جزءً من عائلته..؟!

تقول جدتي: عندما علم بحمل والدتكِ بكِ.. غضب غضبًا شديدًا.. وقال لها لقد انتهى هذا الزواج.. ولن يفلح وجود هذا الطفل في محاولة الحصول على فرصة جديدة.. إن كنتِ تريدينه فلتتكفلي به.

تقول جدتي: لو كان رأكِ ما رحل.

❀❀❀

إن الذي يقرِّر الرحيل لا يمكنك منعه ،أعرف ذلك جيدًا.. أعرف كل شيء.. أعرف ذلك الاهتمام الزائف.. الذي يسلبني عقلي ووقاري.. أعرف تلك الكلمات المليئة بالمشاعر بينما تخرج من شفتين سقيمتين اعتادتا قولهما ربَّما باسم الواجب أو ربما كنوع من المجاملة.. قد يحتمل الأمر كل شيء ما عدا أن

يكون خروجها باسم الحب..

الحب شيء أخر.. لا يمكن للكلمات السقيمة أن تعبر عنه.. الحب شعور.. رباط مقدس يخرج من قلبك إلى قلبه ليقول لك لا أريد منك أي شيء.. لا أريد إلا أن تكون بخير.

برأيي أن المشكلة الحقيقية ليست أن نجد من يقدم لنا هذا الحب.. المشكلة الأكبر عندما نكتشف أننا عاجزين عن حب أنفسنا عن تقبُّلها كما هي.. أن نخجل منها.. أو نتبرأ منها.. أن نحاول إخفاءها، أن لا نكف عن لومها عن أخطاء لم ترتكبها يومًا.. إنما نُسِبت لها.

إنني أقف أمام صفحات حياتي حائرة.. لو أنني أدركت مسبقًا كل هذه الحقائق.. لِمَا لعبت دور الضحية لفترة طويلة.

لطالما كانت تقول جدتي.. "أنتِ لستِ ضحية ولا يمكن وصفكِ كناجية.. أنتِ محاربة عظيمة.. فتاة مميزة"

كانت هي الوحيدة التي تؤمن بي.. بينما لم يؤمن بي أحد حتى أنا.

❀❀❀

لماذا يُعاملني العالم كخطيئة؟ لماذا لم يلفظني رحم

والدتي؟ لماذا لم يلتف حبلي السري حول رقبتي.. لماذا ولدت ألأعيش وحدي هذه الحياة القاسية؟ أم لإجابه كل هذا البؤس..؟ تقول جدتي: إن لم يشعر ببهجة العيد فهو آثم.

فليكن.. أنا آثمة يا جدتي.

وكيف يمكنني أن أشعر ببهجة العيد وأنا مضطرة للجلوس على نفس الطاولة مع المرأة التي ولدتني ذات خريف ثم جفَّفت لبنها وأنا لم أتم بعد شهري الرابع.. لترتدي فستان زفافها الثاني.

تخيَّلوا أن أقوم بالأكل من نفس الصحن الذي تأكل منه أختيَ غير الشقيقتين.. أُختاي اللتان كلَّما نظرت إليهما تذكَّرت أنني بلا أم أختبأ في أحضانها كلَّما أفزعتني الحياة وبلا عائلة يمكنها أن تمنع العالم من إخافتي.

هندام أختاي المنمَّق، وسلوكهما المهذب، واحترامهما للكبير يجعلان منهما نموذجًا يستحق الفخر به.. أما أنا فنموذج يستحق أن يتم التخلي عنه، وإن كانت والدتي تحاول إظهار بعض الاهتمام الزائف.. إلا أن عينيها لا تلمعان شغفًا، محبةً، أو حتى شعورًا بالذنب!.. إن قلبها لا يمكنه أن يُبصر هذا الحطام الذي يسير على قدمين ويرتدي زي فتاة.

كل هذا وجدتي وحدها من تشاهد هذا المشهد القاسي وليس باستطاعتها تقديم شيء أكثر مما قدَّمته لي بمحبة وتقدير إلا أنها مضطرة بين الحين والآخر لتجاهل بعض الأصوات الصادرة من أخوالي المتسائلة في حنق بمناسبة وغير مناسبة.. لماذا تفضِّلين هذه الفتاة أكثر من أولادنا.. لماذا تخصينها بكثير من الحب..؟

هل حقًا لا أستحق هذا الحب؟

بعد أن ينتهي العيد وتعود والدتي وابنتيها إلى منزلهنَّ في البلدة البعيدة ويعود أخوالي إلى منازلهم في المدينة الكبيرة.

أسأل جدتي ككل عيد سؤالًا واحدًا..

ماذا كنت سأفعل لو لم تكوني بجواري؟

وككل عيد تجيب عليَّ بسؤالها

بل ماذا كنت أفعل أنا لو لم تكوني هنا؟

❀❀❀

لديَّ رغبة هائلة في الانتقام من أي أحد ومن أي شيء.. أريد تحطيم كل شيء.. وإفساد كل شيء.. أريد الثأر لنفسي أو ربما من نفسي.

لماذا أعيش بشعور النقص والانكسار بينما الذين ظلموني يعيشون حياتهم بطريقة طبيعية؟ والدتي التي تخلَّت عني تعيش سعيدة مطمئنة في منزلها مع زوجها وبناتها، ووالدي الذي لا أعرف عنه شيئًا وليلى التي لم ألتقِ بها يُكمِّلان حياتهما دون أن يلتفتا إليَّ وأنا ليس بمقدوري فعل أي شيء سوى الوقوف وغير مسموح لي بالاستناد على أي شيء في عربة القطار المزدحمة التي تأخذني إلى الوجهة التي تريد..

ليس من المفترض لي أن أتألم.. ليس من العدل حصولي على كل هذا الكم من الوحدة، والتعاسة، من الجفاء، والبعد.

لماذا أنا دونًا عن الجميع من يدفع الثمن؟

ما الذنب الذي اقترفته لأجد نفسي الفتاة التي تخلَّى عنها أهلها؟

لا تلعبوا مع الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لا يوجد من يهتم بتربيتها ومراقبتها تفعل ما تشاء وقتما تشاء ولن يلحظ أحد حضورها أو غيابها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لابد أن لديها مشاعر حقد دفينة تجاه كل الفتيات ونقم تريد صبَّه على كل الأمهات!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها لا يمكنها أن تثق في أحد، ولا أن تحب أحد، ولا أن تعطف على أحد!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها قاسية، جافة، بلا مشاعر، ولا قلب!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها سوف تتخلى مستقبلًا عن أولادها!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها ستكبر وستنتقم من المجتمع!

الفتاة التي تخلَّت عنها والدتها ستكون يدًا من أيدي الإرهاب!

لا أحد يشعر بالقهر الذي أعانيه لا أحد يفهم بل لا أحد يريد أن يفهم، إنهم يطلقون الأحكام يرمونني بالتهم يقومون بجرحي دون أن ينظروا إلى أثر سكينهم المغروز في قلبي.

لقد تجنَّبت الجميع أذهب إلى المدرسة بمفردي وأعود بمفردي أستذكر دروسي بمفردي لا يمكن لأحد العيش بمفرده لكنَّني مرغمة على العيش بهذه الطريقة.

إنني وحيدة في سجن منعزل داخل أسوار صنعوها خوفًا على بناتهم مني تقول لي جدتي أن حقيقة ما أشعر به هو الغضب.

وأن فرحة التي ربَّتها لو أُتحيت لها الفرصة للانتقام فلن تنتقم من أي أحد..

❀❀❀

عندما أنهيت المرحلة الإعدادية أصرَّت جدتي على أن أكمل دراستي ولم تلتفت لاعتراض أخوالي، ولم تستمع لنصائح الجيران "زوَّجي فرحة.. فأنتِ لن تعيشي لها العمر كله"

لكنَّها كانت تجيبهم.. "ستحصل على كل ما تحصل عليه بنات سنها من التعليم والتربية والرعاية"

وعندما أنهيتُ الثانوية العامة قال لها خالي الأكبر: " زوَّجي فرحة.. لن تبقي بجوارها العمر كله"

كانت جدتي تحارب من أجلي في السر والعلن ولم أكن أعلم عن كم المُضايقات والانتقادات التي كانت تعانيها..لم يفرح أحد بالتحاقي بكلية الحقوق سواها.

حتى المرأة التي ولدتني أقصد تخلَّت عني بدا وكأنها لم تهتم.

زففتُ إلى جدَّتي خبر قبولي بالكلية فأطلقت الزغاريد.

سألها الجيران..

-خير يا جدتنا؟

-ابنتي فرحة ستصير محامية تنتصر للمظلوم وترد لأصحاب الحقوق حقوقهم.

كانت الجامعة تبعد حوالي الساعة عن منزل جدتي.. ومع ذلك رفضتُ الإقامة في المدينة الجامعية وأثرت تحمُّل مشقة السفر يوميًا لكي أبيت في نهاية اليوم بين أحضانها..مَنْ منَّا أشد حاجة للأخرى..؟

أنا أم هي؟

لست أدري.

هي رفيقتي وصديقتي أمي وأختي لا أعرف غيرها، ولا أطمئن لسواها، معها سري الأكبر والأصغر وحكاياتي المملة والسخيفة.

و أنا صديقتها أهتم بتفاصيلها أُمشِّط لها شعرها، أقوم بتدليك ظهرها وقدميها.. لا أفوِّت مواعيد دوائها.. أصنع لها الحلوى التي تحبها.

بعد أربع سنوات تخرَّجت في كلية الحقوق، وصرت أتدرب في مكتب محاماة.

مرَّت الأيام وأصبحت جدتي ذات الثمانين عامًا تهزل يومًا بعد يوم.. أمراض الشيخوخة انقضَّت عليها جملة واحدة القلب وهشاشة العظام وارتفاع الدهون في الدم، ولم يعد يشغل بال جدتي إلا أمرًا واحدًا أن تطمئن عليَّ، وتزوِّجني لزوج كما تقول "ابن حلال"..

وكنت أنفر من أي حديث له علاقة بموضوع الزواج كما أنفر من العمى..

لقد توقَّفت جدتي عن تفهم مخاوفي بل إنها صارت أكثر إلحاحًا وإصرارًا على تزويجي في أسرع وقت ممكن..

تقول جدتي: لا تخافي لن تكوني يومًا كوالدتكِ، ولن تتخلي يومًا عن أحد أولادك.

❀❀❀

لقد رحلتْ جدتي..

في يوم رحيلها تناولنا الفطور معًا مثل أي يوم قبلتُ رأسها ويديها مثل كل يوم، قلت لها: الغداء في الرف الأول من الثلاجة تناوليه ولا تنتظريني لديَّ عمل بعد الظهر وسوف أتأخر.

كنتُ في المحكمة أترافع في قضية نفقة بينما كانت -جدَّتي-

نائمة في سريرها الواسع فترة الظهيرة يؤلمني قلبي عندما أتخيَّلها قضت نحبها وهي بمفردها في بيتها الكبير، كانت مفارش السرير بيضاء، والنوافذ مغلقة، والتفاصيل غائبة عن الذكر.

عدتُ إلى المنزل، فتحتُ الباب، قلتُ مثل كل يوم بصوتٍ عالٍ: لقد عدتُ يا جدتي، لكنَّها لم تُجبني ككل يوم بمرحبًا يا ابنتي.. رحلت دون أن أودِّعها، دون أن أقف عند رأسها أُذكِّرها الشهادتين، دون أن أسمع وصاياها الأخيرة.

برحيلها رحل الشخص الوحيد الذي كان لي، رحل ليتركني أواجه هذا العالم بلا أحبَّة ولا أصدقاء فقط بوجه خشبي، وملامح قاسية، وتصرفات بعيدة عن الرحمة والرأفة.

لو أطلق عليَّ أحدهم لقب فمن الطبيعي جدًا أن يكون المرأة الفولاذية إن الحديد قد يلين لكن الفولاذ سيصمد لوقت أطول.

تركتني ولسان قلبي يقول: لماذا لم تأخذيني معكِ.. إلى عالم أكثر رحمة وعدلًا؟

لقد امتلأ البيت بالرجال والنساء.. لست أدري إن كان الحزن حقًّا هو قاسمهم الأكبر، لكن المؤكد أن الواجب والمجاملات كان لهما الدور الأكبر في هذا الجمع الكبير..

يتبادلون التعازي والتعارف والأخبار في امرأة عجوز ولسان حالهم.. " لو نعيش نصف عمرها".

عيناي عاصيتان ترفضان الاعتراف بحقي في البكاء، وروحي تجلس قريبة مني تأبى الانفصال عني والعودة إليَّ متعلقة بروح جدتي الراحلة.

بعد صلاة العشاء جلست بجواري المرأة التي ولدتني، لست أدري مَنْ منَّا كان المفترض عليها أن تأخذ عزاء جدتي أنا أم هي؟ لكنَّها قالت لي:

-البقاء لله يا فرحة..

فقلت لها: عظم الله أجركِ في والدتكِ..

رغمًا عن كل شيء تمنَّيتُ لو تحتضني لثانية واحدة فأبكي بين ذراعيها ثم ننسى أنا وهي هذا الحضن المُحرَّم في علاقة ابنة بوالدة تخلَّت عنها..

لكنه لم يحدث، ولن يحدث، إن المسافات التي بيننا لم تستطع جدتي أن تُذيبها وهي على قيد الحياة، ولن يستطيع غيابها فعل أي شيء.

كنت بحاجة إلى صدر حنون أبكي عليه لكنَّني لم أجده.

عندما خلا الدار وقام الجميع باستئناف حياتهم، وجدت نفسي أحتضن ملابس جدتي الأخيرة، ثم استسلمت عينيَّ للبكاء.

❀❀❀

لم تترك جدتي شيئًا للصدفة كانت تعلم أنه برحيلها لن يتركني أحد أسكن دارها، كانت تدرك أن المرأة التي ولدتني سوف تقوم ببيع حصَّتها من المنزل لأخوالي، لذلك لم تتردد جدتي في كتابة الدار باسمي، لكن عندما علم أخوالي قامت القيامة في الدار ولم تقعد لقد سُحرت أمنا العجوز، ولا شك أنه قد أصابها الخرف سوف نطعن في هذا البيع، وسنثبت أنها فقدت أهليتها.

لماذا يا جدتي بدلًا من أن يستغفروا الله من أجلك.. ويدعوا لكِ بالفردوس الأعلى.. يدعون عليكِ؟! بدل أن يذكروا محاسنكِ هاهم يفسدون ذكراكِ؟!

حتى أنا تفاجأت أنكِ كتبتِ الدار باسمي، وكأنكِ رغم وفاتك تحاولين حمايتي، لكنني لم أحتمل يا جدتي، لم أحتمل إساءتهم لذكراكِ، ظلمهم الواقع عليكِ، فليأخذوا ما يريدون، فليأخذوا كل شيء، لقد تنازلت لهم عن الدار فليقتسموه بينهم كما يشاءون، أسفة لعدم تحقُّق رغبتكِ.

لقد انتهى كل شيء.. إذاعة القرآن الكريم التي كانت تعمل في خلفية الدار، والمسلسل الذي كنا نتابعه معًا، والقصص ذات النهايات السعيدة التي كنتِ تقصينها عليَّ، والصنبور الذي يقوم بتسريب المياه، والقطة التي كانت تزورنا من وقت إلى أخر، والأولاد الذين كانوا يتسلقون سور الدار ليسرقوا التوت من شجرتكِ، وانتهى ذلك الاجتماع كل عيد.

عاجلًا أو أجلًا كنت سأرحل، فرائحتكِ تسكن الجدران، وصوتكِ يتردد في كل مكان، وقرع أقدامك لم يتوقف، الدار من غيركِ لا تطاق، لقد انتقلت إلى شقة إيجار شراكة بيني وبين زميلة لي، الشقة قريبة من مكتب المحاماة الذي أعمل به تقاسمنا الأجرة سوية تبدو لي ذات تربية عالية لكنني لا أتعامل معها إلا في أضيق الحدود.

***

مازلتُ أجني ثمار دعواتكِ، مازالت روحك قريبة مني تحاوطني من كل جانب، مازلتُ أذكركِ في كل وقت، أعمل بنصائحكِ إن مسَّني حزن شعرت بكِ تمسحين على قلبي وإن أصابني فرح شاركتكِ فيه.

رغم مرور خمس سنوات على فراقكِ لكنني لم أتأقلم، كلَّما

اشتقت إليكِ ذهبت لزيارة دار المسنين والعجزة أبحث عن طيفكِ بينهم، التقيت هناك بجدة عجوز تشبه تفاصيلكِ.. اسمها الجدة يُسرية.. فقدت أبناءها في الحرب.. رغم كبر مصيبتها، وحزنها القابع داخل أسوار روحها.. إلا أنها قادرة على العطاء.. مازالت قادرة على منح الحب.. كنت أظن يا جدتي أن أحوالنا السيئة والخذلان المتكرر يقومان بمنحنا الحق في معاملة الناس بالمثل أو على أقل تقدير في تجنب التعامل معهم.

خمس سنوات يا جدتي وأنا لم أمل من البحث عن والدي وعن ليلى، أخر ما توصلت إليه أنهم هاجروا قبل عشرين سنة إلى كندا لكن المعلومات التي بين يدي إلى الآن غير مؤكدة.

خمس سنوات يا جدتي وأنا عندما أترافع في قضية حضانة أشعر بالغيرة كلَّما وجدت أمًا تدافع بشراسة عن حقها في حضانة أبناءها تقاتل بكل ما أوتيت من جهد وقوة رغم الفقر وقلة الحيلة، خمس سنوات وحزني يتجدد في كل مناسبة لأتذكر الذين تخلُّوا عني بملئ إرادتهم.

خمس سنوات وأنا أحاول فيهم أن أعيش بطريقة طبيعية لكن ألم الهجر وطعم الخذلان لا زلت أشعر بمرارته في قلبي،

خمس سنوات وأنا أرفض كل من يطرق باب قلبي طالبًا الود بينما تزوَّجت اختاي وأنجبتا، خمس سنوات وعلاقتي بالمرأة التي ولدتني تزداد جفاءً وتعقيدًا، خمس سنوات وأمنيتي الوحيدة أن أتي إليكِ.

❀❀❀

تلقَّيت مكالمة مفاجئة من خالي الأكبر طلب فيها مقابلتي على وجه السرعة.

قال لي خالي عندما التقيت به: والدتكِ مصابة بذاك المرض الخبيث زوجها عندما علم بذلك تزوَّج عليها فتاة في سن أختكِ الصغرى، وقال لها: أخوتكِ أولى برعايتكِ، الوضع سيء وأختاكِ كل واحدة منهما منشغلة بزوجها وأولادها، ولا يوجد من هو أفضل منكِ لرعايتها أنت الأولى بوالدتكِ يا فرحة.

أجبته.. الآن تذكرتم أن لها ابنة هي لم تقدم لي الرعاية في صغري حتى أقدمها لها في كبرها، ثم إنه ليس لديَّ أم، أمَّا عن كونها ولدتني فأين الإنجاز فالجميع ينجب حتى الحيوانات أعزَّك الله، ثم قمت بالاستئذان منه وغادرت لبعض عملي ولم أستطع التفكير بأي شيء غير ذلك الحديث الذي دار بيني وبين خالي.

لا يمكنني أن أصف لكِ يا جدتي ما شعرت به، لم أتخيل يومًا أن يحدث هذا! أهو الزمان حين يدور؟!

لست أدري إن كنت حزينة من أجلها أم لا؟

لم أستطع فهم مشاعري، ولم أستطع التفكير في أي شيء أخر، إن المرأة التي تخلَّت عني تخلى عنها الجميع، وليس لديها أحد يرعاها سواي، كيف ستنتقل إلى العيش معي، وسأنظر كل يوم إلى وجهها فيُذكِّرني بأنني الطفلة غير المرغوب بها ثم نتناول الطعام معًا فأتذكر أنها جففت لبنها بينما كنت في حاجته لترتدي فستان زفافها الثاني.. كيف؟!.. وكيف؟!.. وكيف؟!

قضيت ليلة طويلة لم أذق فيها طعم النوم..تذكرتكِ يا جدتي

عندما قلتِ لي: إن فرحة لو أتيحت لها فرصة الانتقام فلن تنتقم من أحد، أنا حقًا لا أريد أن أنتقم من أحد، عندما جاء الصباح كنت قد استجمعت شجاعتي واتصلت بخالي، وطلبت منه أن يُحضر أخته لتُقيم معي.

عندما رأيت المرأة التي تخلَّت عني ارتبكت كثيرًا لقد أفسد المرض تفاصيلها، واحتلَّ الضعف جسدها، بشرتها أصبحت شاحبة.. جسدها صار نحيلًا.. سقط شعر حاجبيها.

تظاهرت باللامبالاة لكي لا أنهار أمامهما، أنا لم أتمنى لها الشر... لماذا يحدث لنا كل هذا..؟!

أطلعني خالي على مواعيد الأدوية والجلسات، عندما غادر خالي تعمدت عدم النظر إليها قلت لها هذه غرفتكِ إذا كنتِ بحاجة لأي شيء فقومي بالنداء عليَّ ثم دخلتُ غرفتي وأغلقت بابها عليَّ، وبكيت كثيرًا.

❀❀❀

هل كان لديَّ خيار؟ هل كان بمقدوري فعل شيءٌ أخر؟.. أنتصر لنفسي.. لسنوات عمري الضائعة بلا أحضان أم.. بلا عناية والد.. بلا محبة أخت.. بلا رعاية عائلة..؟

هل كان بمقدوري أن أتنصل منهم كما تنصَّلوا مني قديمًا وتركوني بين براثن الحياة..؟

نعم كان لديَّ الخيار، لكني اخترت أن لا أشعر مستقبلًا بالذنب، أخترت أن لا أُقابل الجحود بالجحود.. التخلي بالتخلي.. الإساءة بالإساءة.

كان كل شيء في البداية معقدًا.. لم أكن أعلم كيف يمكنني التعامل معها؟.. كنت أحاول أن أتقي الله فيها.. أحاول نسيان

الماضي والتغاضي عن كل ألم وتجاوز كل شيء.. وكان الشيطان يحاول جاهدًا إفساد ما أحاول جاهدة الوصول إليه.

في البداية كنت قاسية لا أحتمل وكانت والدتي تُقدِّر لي ذلك، أو ربَّما لم يكن لديها خيارٌ أخر.

لقد تعلَّمت يا جدتي أن للضعف وجهٌ أخر منا وجهٌ لا يمكننا تجاهله، جميعنا ضعفاء بطريقة أو بأخرى، ضعفاء حتى إن بدونا غير ذلك، ضعفاء حين نكتشف أننا نقاوم الحياة بمفردنا بلا خل ولا حبيب، ضعفاء في خوفنا من فقد ما بين أيدينا، ضعفاء حين تختبر مبادئنا.

لم أكن أدري أنني سأصمد لم أكن أعلم أنني سأنجح في الاختبار، لكنَّني قدَّمت أفضل ما يمكنني تقديمه، أصرَّت والدتي على أن يتم زواجي قبل رحيلها، تعرَّف عليَّ الرجل الذي صار زوجي في إحدى المرَّات التي كان يحضر فيها مع والدته جلسات العلاج، كانت والدته تتحسن بينما حالة والدتي تسوء.

رحلت والدتي سريعًا يا جدتي لم نحصل على الوقت الكافي لنصبح صديقتين، كنا نتعامل كشريكتين في السكن كزميلتين لكن ليس كأم وابنتها، وقد عزَّ عليَّ فراقها لكنني لم أحزن كما حزنت

على فراقكِ، إذا ما قابلتِ أمي يا جدتي فلا تقومي بمعاتبتها قابليها بصدر رحب، فقد عفوت عنها..نعم صرت أخيرًا أناديها بأمي.

جدتي العزيزة لديَّ لكِ خبر سار فقد وضعت صباحًا بفضل الله مولودتي الأولى وقد أسميتها هبة تيمُّنا باسمكِ وتخليدًا لذكراكِ، وأسأل الله أن يكون حظَّها أفضل من حظي.. فلتطمئن روحكِ.

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

وأمَّا بعد..

العالم هو أنا وأنت وهي وهم والتفاصيل الصغيرة.. العالم هو ضحكتها هي.. وشهامتك أنت ودعمهم لكما.. العالم هو الخريف عندما يصيبنا العجز والشتاء عندما تُجمِّدنا القسوة وتقتلعنا العواصف والربيع عندما نزهر جميعًا.. لا أحد يعيش بمفرده مُبعدًا نفسه عن كل شيء.. حتى لو آثرنا الوحدة وابتعدنا ستعيدنا جاذبية الحاجة وغياب القدرة على الاستغناء.. العالم يفقد توازنه عندما يستمر الأشرار في التكاثر والنمو والازدهار بينما يترك الأخيار الساحات مستسلمين للحزن الأكبر والخيبات التي لا حصر لها.. تاركين الساحة لمن باعوا المبادئ واستبدلوها بحساب بنكي أو إقطاع زراعي أو نفوذ طاغٍ.. العالم هو ما زرعناه أنا وأنت فاحسن الزرع ولا تنتظر الحصاد

محبتي الأبدية

المُخلصة

د. فاطمة الزهراء الحسيني

إنت عمري
بقلم
مروة محمدوح

سطور من حياة

مروة ممدوح مصطفى

* مروة ممدوح مصطفى من مواليد مخافظة سوهاج، تخرجت في كلية التربية قسم لغة عربية، أميل إلى كتابة القصص القصيرة عضو "بورشة السعادة" صدرت لي معها روايتي الأولى "شفير الهاوية".

* أحب القراءة لنجيب محفوظ، يوسف السباعي، حسن الجندي ، مثلي الأعلى نجيب محفوظ، أحمد خالد توفيق.

* أحلامي للمستقبل إني أتطور أكتر في مجال الكتابة ويكون لقلمي صدى مدوي في قلوب القرَّاء ويعمل على إحداث تغيير جذري في نفوسهم أو إرثاء فضيلة أو حكمة ما.

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

إنت عمري

استراحت هامته من على كتفيه فوقرت إلى السكون، ويداه المتدليتان من جانبي المقعد أفصحتا عن النوم فى سبات عميق، فقط وحده المذياع زاول نشاطه فى مكان كل شيء فيه سكن، مرددًا أغنية (إنت عمري)

دنا طيفها منه تتأمل ملامح وجهه التي قبعت بداخلها التجاعيد فتركت خيوطًا طولية على جانبي وجنتيه وبين حاجبيه، أكملت تفقدها لبقية جسده المهترئ وقد باغتته الشيخوخة فجعلته جلدًا على عظم، فقط كرشه الذي نجا من سطوتها، راح يتحرك صعودًا وهبوطًا، وهو يغط في سبات عميق، دنت منه تضع يدها على جبهته، بحنان تُقبِّل وجنته، أحسَّ بها بدأ يتململ في نومه وقد أشعل توهج حضورها حرارة التهمت صقيع تلك الليلة، أحسَّ جسده بحضورها فهبَّ ناشدًا دفء أُنسها والتطيب بعبق أنفاسها

-في ميعادكِ بالثانية "قالها مُتهللًا"

-ككل ليلة "قالتها وقد أراحت يدها على صحيفة وجهه" وأردفت:

-كيف كان يومك؟

-جميل جدًا بيد أني أفتقدتك فيه.

-كما قلت لك مرارًا ليس لي حضور فيه وندت منها ابتسامة تواسيه:

-ما العمل إذن؟ "قالها دون حيلة منه"

ازداد توهجها وهي تقول له:

-آتيني أنت وسُر خاطري.

- هاااا أنا قادم.

صاح بها ليستفيق، يرى نفسه كاد أن يسقط من على المقعد وقد اختلطت رأسه بالأفكار وكل شيء مشكوك فيه من حوله، عدا صوت الست ظلَّ صامدًا يؤكد الحقيقة الوحيدة الموجودة في هذا المكان، ضاق ذرعًا، وهو يجاهد ليفتح عينيه المثقلتين، رثى لحاله بعدما تبصر الحقيقة، هو مجرد حلم بل حلم كل ليلة.

غمغم بكلمات معلولة جازمًا تلك الليلة اللحاق بها، بلغ من العمر أرذله وقلبه مازال مفطورًا على فقد رفيقة دربه وزوجته، ولم يبق أحدًا من ذويه ولا أولاده لمواساته، الكل اجتمع على التفرق من دونه.

تركوه محمومًا في صهد الوحدة

دار يحرك رأسه يتفقد أركان بيته وقد كستها وحشة الوحدة، يتذكر كم كان يملؤه الصخب ويكثر فيه الضجيج، شاهد على ذكريات جمَّة متباينة، تموج بين المرح والفكاهة وبين الحزن والفجيعة، طال النظر لأريكة عريضة قابعة في منتصف الصالة يستحضر ذكرياته معها، يرى نفس جالسًا عليها يحتضن صغيريه سما وعمر يشاهدا فيلما كوميديًا، تتعالى ضحكاته ممزوجة بقهقهة بكر من ثغر صغيريه، تأتي الأم تحمل صينية كبيرة بها أربعة أكواب من الشاي بالحليب بالإضافة إلى أكوام من سندوتشات المربى والبيض والجبن، يتهلل الصغيرين بقدومها ليهبا بمرح يتلقفا منها الطعام مُحدثين جلبة عارمة، تفقد معها أمهما اتزانها وتترنح إلى الخلف، تكاد أن تسقط على الأرض فيسرع باحتضانها من الخلف، ضاغطًا بكلتا يديه على يديها الممسكة بصينية الطعام، ليكون لها درعًا وحصنًا من السقوط، فترتطم بصدره وبداخله يُطمئن صرختها التي دوت بين جنباتها فأشعلت الرعشة بجسدها المهتز بين يديه يهمس بأذنها:

-أمسكت بكِ.

لتنم عنها ابتسامة خفيفة وهي تدير رأسها ناظرة لعينيه

-كعادتكِ دومًا.

لينفجرا في ضحكات عالية تهز جسديهما لتهتز يديهما المطبقة على صينية الطعام فيتذكرا شأنها، فتسرع في التملص من إحكام قبضة جسده على جسدها، تنحني لتضعها بأمان على المنضدة، وقبل أن تنصب قامتها يحكم قبضته على يدها قائلًا:

-لن تراوغيني ثانية وتهربي مني هذه المرة.

ليجد الصغيرين وقد تسلَّلا ووقفا أمامها مباشرةً يصيحان بوجههما:

-ماذا تفعلان؟

ليشتاط غضبًا، ينم عنه قهقهة عالية من الصغيرين:

-حسنًا سأريكما ماذا سأفعل بكما الآن..

ويهم باللحاق بهما فيفرا هاربين من أمامه يختبئان، وما إن ترى هذا المشهد تنتابها ضحكة قوية على مشاكسته مع الصغيرين تزيد من حدته وغضبه ويقف يهتف غاضبًا:

حسنًا سأُرى ثلاثتكما، سألقنكم درسًا لن تنسوه أبدًا..

لتسرع باللحاق بصغيريها، تركض هاربة من أمامه، يتبع أثرها وقد انتفخت أوداجه حمرة من الغضب..

تنم عنه ضحكة مريرة، ناجمة عن فجيعة ذكراه تبدأ عينه بالبوح عن خيبتها تسرد ألمها بعبرات ثقيلة، فاضت بها لتسيل على أخاديد من التجاعيد تقاسمت معه وجنتيه، تنهَّد بعمق ألمه القابع بجوفه وراح يسرح ثانية تتخبطه الذكريات مرة أخرى على هذه الأريكة، تترائى المشاهد مشهد بعد الآخر كشريط سينما، يتذكر عندما كان يجلس عليها ودقَّ جرس باب الشقة لتسرع الأم بفتح الباب، تلج منه ابنته سما مندفعة متوجهة نحوه صارخة:

-لقد نجحت يا أبي وأخيرًا سألتحق بكلية الإعلام حلم حياتي، وسأصبح مذيعة مشهورة.

يحتضنها الأب مهللاً:

مبارك يا ابنتي، أنتِ تعبتي واجتهدتِ كثيرًا تستحقين ذلك..

يسرح ثانيةً يرى ابنته وقد غدت عروسًا بجوار عريسها، الذي يضع بإصبعها خاتم الخطبة، لتنطلق الزغاريد والمباركات من الأهل والأحباب، وسرعان ما توالت الذكريات وهو يجلس على تلك الأريكة حامل بين يديه أول حفيد له من ابنه عمر في أول زيارة له ببيت جده وكمْ الفرحة والحفاوة التي قوبل بها منه ومن زوجته

التي ربتت على كتفه بخبث تقول له:

-لقد كبرت وأصبحت عجوزًا الآن.

ليرد لها كلماتها الماكرة:

-أو تظني نفسكِ مازلتِ بنت العشرين يا امرأة؟، لقد هرمنا سويًا، بل أنتِ زدتِ وكثيرًا.

لتحدجه بنظرات يتطاير منها الشرر:

-صدق أنت عجوز أحمق.

ينفرج ثغره ضاحكًا، يظهر لثته القفرة وقد فرَّت منه أسنانه يمازحها:

- والله إنكِ بعيني مازلتِ بنت العشرين التي لطالما حلمت أن تُزف لي وتكون زوجتي وأم أولادي

يتملَّك الحياء محياها الصبوح فيكسوه حمرة الخجل على ما تلفَّظت به توًا، تطأطئ رأسها ترمقه بنظرات الأسف.

على ما تفَّوهت به، فيهب صارخًا:

لا عليكِ يا امرأة، فلا لوم على عجوز أحمق مثلي، وما إن ينتهي من الكلمة حتي يموج في نوبة ضحك عالية تشاركه إياها وهي تلكزه في عضده، حتى جاءت الذكرى التي حجَّرت الدمع في مآقيه فأبى أن يتركها جحظت عينيه وهو يطيل النظر للأريكة يستحضر المشهد.

يراها ممدَّة على الأرض أسفل الأريكة بعد أن ندت منها صرخة عالية، فقدت وعيها وارتطم جسدها بالأرض، هذه المرة لم يكن بجوارها ليمنعها من السقوط، أسرع مهرولًا تجاهها، يرى الدماء وقد سالت من أنفها المهشم من أثر ارتطام، يحمل رأسها يدسه بين ذراعيه، يطبع دمها الجاري من أنفها على قميصه، كأنه يُقبِّله القبلة الأخيرة، يناشدها صارخًا:

-أفيقي لن أتركِ ترحلي، ليس الآن.

يأتي صوتها المبحوح، كأنه يصارع من تحت ركام الموت لينطق:

-بل هي يا رفيق العمر، لم أعد أطيق صبرًا عليها، ألم السرطان نهش عضمي واستشرى بجميع أجزاء جسدي، اتركني أرحل بسلام لتغمض عينيها وتثقل رأسها بين ذراعيه تتبعها صرخاته المضنية التي تحثها على الرجوع وألا تتركه

"لا تتركيني أرجوكِ ليس لي أحدٌ من بعدكِ، لا تتركيني أتوسل إليكِ".

أصابته رعشة قوية وهو يتذكر كلماته المدوية صداها بأذنيه كأنه يسمعها توًا، هزَّ منكبيه وهبَّ قائمًا، يستحلف قدميه أن تحمل جسده بعيدًا عن هذه الأريكة، وما هي إلا لحظات وقد

كان مُتأهبًا لحدثٍ ما، مرَّت ذكرياته سريعًا في خاطره المنهك، فلم تفلح في زعزعة عزيمته عن الأمر الذى قُضي في جوفه، فهبَّ ينشد للراحة سبيلًا كما زعم له فكره، أخرج من خزانة ملابسه بدلة عرسه منتشيًا لصوت الست في المذياع تجلجل

(اللي شوفته قبل ما تشوفك عنيا ...،عمر راح يحسبوه إزاي عليا .....)

بشَّ وجهه، إذعانًا منه أنها إشارة تبارك له ما أقدم عليه.

تطيَّب بالعطر الذي لطالما عشقته زوجته، وتوسد فراشه في جو من الرضا، واستراحت جميع أوصال جسده ماعدا إحدى يديه قامت بقطع الوريد القابع في رقبته، جحظت عيناه وسقطت يده وساد الصمت على المكان إلا من صوت الست مُنشدًا:

(هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا .....ياحبيبي تعالى وكفاية اللي فاتنا)

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

أمَّا بعد...

كل شيء في الوجود له سحره وجماله الخاص، كذلك الحال مع الكلمات ولكن جواهرجي الكلمات الحق هو من يستطيع انتقاء الجيد منها من بين الغث ويبرزها متراصة بجانب بعضها البعض مُقدِّما للقارئ صورة خلَّابة من بين سطور عمله الأدبي ترسي في نفسه حكمة ما أو فضيلة معينة أو قد تمتد لتوصيف حالة وجدانية يحياها كثير من البشر، ربَّما يكون القارئ واحدًا منهم، وقتئذٍ يكون الكاتب نجح في أن يكون لسان حال قرَّائه، يُضحكهم ويُبكيهم ويُواعدهم بغد مشرق يصيب أعتاب التمني داخل عقولهم من خلال ريشته الفريدة ألا وهي قلمه...

محبَّتي الأبدية

المُخلصة

مروة ممدوح

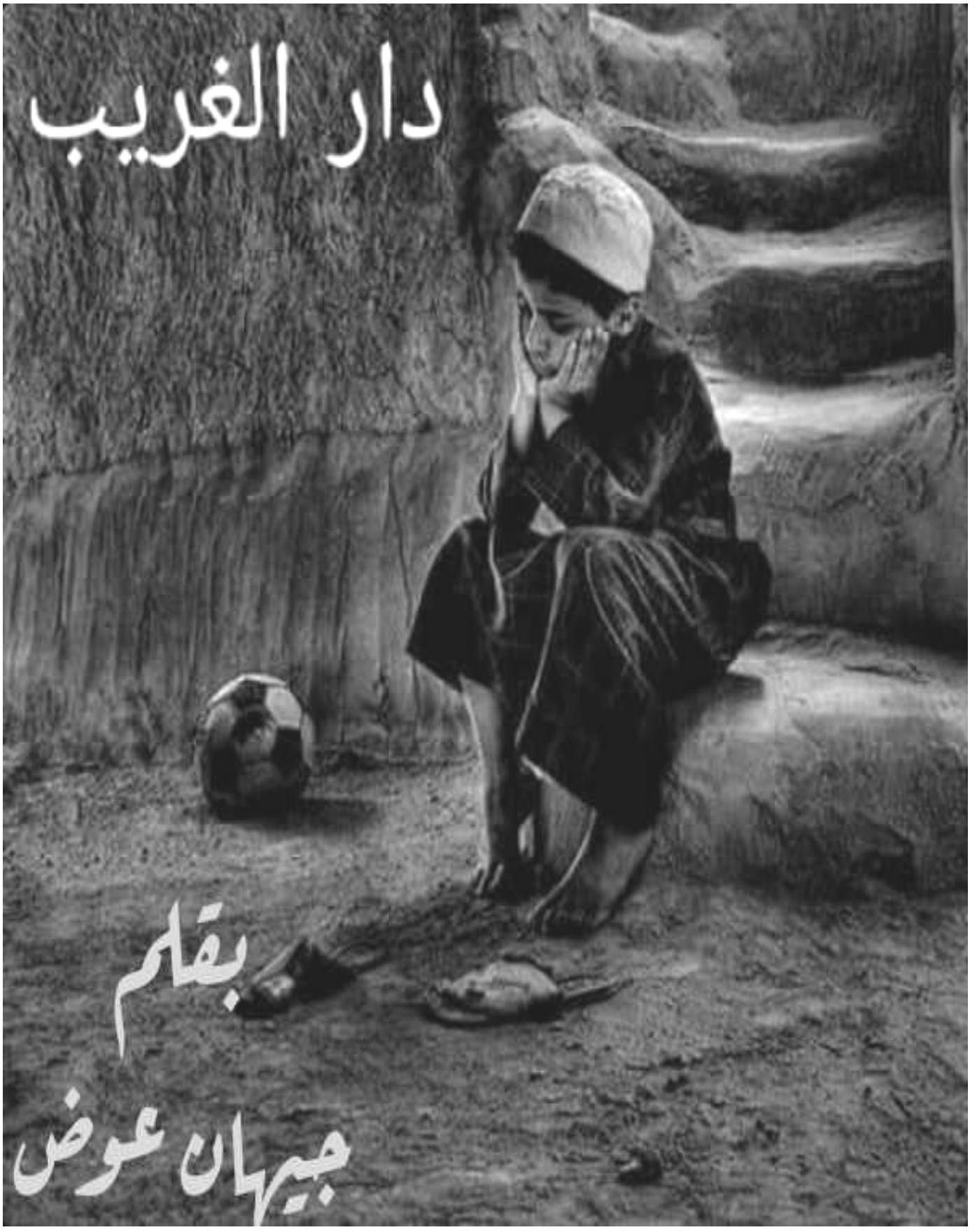
دار الغريب
بقلم
جيهان عوض

سطور من حياة

جيهان عوض البنا

❁ روائيــة وقاصــة ومحــرَّرة صــحفية بــبعض المجــلَّات والمواقع الإليكترونية، ومحررة ديسك.

❁ أول عمـل روائـي لـي روايـة الـدّائبان "**الـشمس والقمـر**" ورشــة الــسعادة دار ببلومانيــا للنــشر والتوزيــع معــرض القــاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٩م.

❁ شاركت بأعمال ورقية جماعية ومجموعات قصصية مثـل "**أنامل قصصية**" بقصة "**شعرة بيضاء**" الـصادرة عـن دار لـوتس للنشر الحر، وكتاب "**تنهيدة قلم**" بقصة "**انفصام**" وديوان شـعر جمــاعي"**قــصَّة مــن الكــواليس**" شــاركت بــه بــثلاث قــصائد "**كلمـات، إنـت عـارف، حـوَّاء**" إصـدار دار بنـت الزيـات للنـشر والتوزيع، ولي مشاركة بمجلة المغـارة الورقيـة، وكلمـات مـأثورة الجـزء الأول والثـاني لأدبـاء ببلومانيـا لعـام٢٠١٩، ومـشاركة مـع بعض الأديبـات بكتـاب "**فيء الكلمـات في أدب التعليقـات**" ونُـشِر لي بجريدة الموجز العربي الورقية، وأعمال أخرى قيد النشر...

❀ جُلَّ مرامي إبقاء أثر طيب بكلماتي، فكلنا راحلون لا محالة بيد أن الراحل نوعان، نوع يُمحى أثره كإعصار حملت الرمال عن أثر أقدامه فلا أثر وقتها، ونوع قرَّر الخلود، ينحت في الصخر فلا أعاصير ولا أمواج تمحيه، فكلَّنا نستحق أن نخلد، فالجميع مميز بشيءٍ ما، لكن الفرق في اكتشاف المرء لذاته...

❀ للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

دار الغريب

لم يلتهم الطعام كما توقَّعت، أعاده كما هو إلا من لقيمات صغيرة كحجم أنامله، بل لم يَسعد بالغطاء الذي بعثته مع صغيرها "مازن" إليه كي يتدثر به من برد الشتاء القارص، حتى ذلك الودق المنهمر صوب عينيه لم يكن ليعنيه، جُل ما كان يحتاجه تلك الحميمية التي يراها أمامه من أقرانه الأطفال وهم يتجولون مع أبويهم ويتسامرون في الطريق، وتلك الأم التي تُسمي الله عند وقوع صغيرها، ولهفتها عليه رغم عدم إصابته بمكروه، حتى تلك الهرة التي تجاوره وتستقطب بقايا الطعام من هنا وهناك وتأتي لصغارها كي يقتاتوا، يراقب كل هذا وهو قاطن أمام محل عمله الذي استأجره عمه قبل شهر، ولكن ما حدث لم يكن بالحسبان فقد أصاب عمه مرض يستلزم إجراء عملية جراحية بأسرع وقت ممكن فلم يجد غير "غريب" ابن أخيه ليحل محله في هذه الفترة ويعمل بالمحل بعد أن مكث يومًا معه ليُعلِّمه صنعته وإغرائه ببعض النقود التي هو بأشد الحاجه لها، وتركه ورحل إلى بلدته، تركه وحيدًا في بلدة لا يعلم عنها غير هذا المكان المكتظ بالأشخاص الغريبة بالنسبة له، وأترابًا من الصغار يلهون أمامه

دون اكتراث، لا شيء يغزو لَهوهم، لاشيء يعكر صفوهم.

شغل أمر ذلك الطفل بال "حنان" فهي أم لثلاثة أطفال ورثوا عنها حنانها الفيَّاض، وعطفها على المحتاج، فعندما أخبرها ولدها الصغير"مازن" قصة ذاك الطفل الغريب الذي حلَّ بمحل الحلاقة أسفل منزلها والذي يدعى"غريبـًا"، سالت أدمعها على وجنتيها ودون أن تشعر لعنت أبويه، وتساءلت كيف لهما أن يتركوه في بلد غريب وحده، كيف لهما بالأساس أن ينتهكوا براءته ويجعلوه يعمل في هذا السن الصغير؟ ألهذا الحد بلغت القساوة مبلغها بقلوبهما، أم هي الحاجة من ساقتهما إلى زَجهم بابنهما في محيط الحياة فتلاطمه موجاته بلا هوادة، إما أن ينجو أو يرتد غريقًا!

بينما هو قاطن أمام المحل بَقَّت السماء وكأنها تشاطره أحزانه وتواسيه، ليت غيثها يجلي حزنه كما جَلت الطريق، رَمَقَ صبي وحيدًا يَرمَل من أمامه، إنه "سالم" المتسول الصغير، لم يتيقن من ملامحه في ظل ذلك الوابل من المطر الذي يتصبب من السماء، ولكن لم تغب مقلتاه عنه حتى أفل، وتساءل:

-من هذا؟ أظنه غريبـًا، لم أشهده يلهو مع أطفال الشارع من قبل.

لم تدم تساؤلاته كثيرًا فقد أحسَّ بالبرد الشديد فولج إلى محله وأوصد الباب وقبع بين جدرانه الرطبة وكأنما بلَّلته دموعه، وسقفه الذي أعلى من سقف أمنياته التي اختزلت في دفء عائلته في ليلة كتلك الليلة الموحشة، تهاوت أفكاره علي سفح ذاكرته وتطايرت أمانيه كورق خريف خذلتها الرياح فابتعدت بعيدًا، لسان حاله يخاطبه:

-مَن بالعالم أشد بؤسًا مِني؟

وفي ظل هذا التخبط والتآكل في قارعة رأسه، سمع صوتًا ينقر على الباب، ويبدو أنه صادر من أنامل صغيرة، انخلع قلبه، وهو يجيب:

-من؟

جاءه الرد سريعًا:

- "غريب" افتح إنه أنا "محمود"

هرع بفتح الباب وجد "محمود"ابن صاحب المنزل ومعه طعام يبدو من رائحته أنه طيب وهبط من الموقد للتو، ومعطف صوف معبَّق برائحة ذكية.

أخذ منه الطعام والمعطف وانتظر حتى صعد "محمود" إلى

منزله، وهمَّ بغلق المحل إلا أنه رأى ذاك الصبي "سالم" مرة أخرى، فانتظر هنيهة، فاقترب منه قليلًا ونظر له نظرة استجداء، وبرغم ثيابه الرثَّة المرتقة، ووجهه المتهالك، وجسده الهزيل؛ ناداه فَلَبَى النداء فورًا، ودعاه للأكل معه، فتربع أرضًا وبدأ في التهام الطعام إلتهامًا، وكأنما لم يأكل مذ أيام، وغريب يرقبه، لم تبق إلا قضمة واحدة، فاستحى سالم أن يمد يده، الآن فقط أيقن أن "غريبًا" لم يمد يده للطعام البته، ابتسم "غريب" وقال له:

-تفضَّل، هي لك.

نكَس سالم رأسه وأجهش بالبكاء، تلاشت كل أحاسيس الوحدة والوحشة لدى "غريب" وحَلَت محلها شعور بحزنٍ دامٍ، لِما شاهده من ذلك الصبي الأبلق، تيقن آنذاك بوجود من أشد بؤسًا منه، أدركَ أنه غني بما يملكه.

بقدر احتياجه ومعاناته فهو يملك الكثير، وبرغم بُعده عن موطنه إلا أنه يعلم أنه سيعود يومًا ما ليجد من يحنو عليه ويحتضنه، لم تكن قساوة من والديه لِزَجه بعيدًا، ولكن أنَّى له أن يقف مكبل اليدين، ووالده مريض وهو أكبر أخوته، ببلدة لا مجال للعمل فيها سوى الفلاحة التي طالما فشل أبيه في إقناعه

بالعمل بها، ما كان له إلا أن يحمل على عاتقه حمل أسرته، وما إن عرض عليه عمه ليحل محله لبعض الوقت لم يفكر طويلًا بل سارع بالموافقة.

باغته سالم بصوت متهدج:

-أعلم أنك مرتاب مني بعض الشيء ولا ألومك على ذلك فأنا كما ترى متسول أشحذ ما يجود به الآخرون، أحيانًا أجد من يعطي، وأحايين أخرى لا أجد ما أقتات عليه، لا أتذكر شيء، كل ما أتذكره أني أفقت بهذي الحياة دون زاد، دون رفيق، كشجرة في فلاة بأرض جدباء...

صمت هنيهة وأردف قائلاً:

-لم يكن لدي خيار آخر، فُرض عليَّ الأمر، فكيف لي أن أواصل حياتي، أنَّى لي أن أحيا دون مد تلك اليدين، دون السؤال! وأردف قائلًا:

-أبغض نظراتهم، أُمقت كلماتهم اللاذعة، أكره قلوبهم الضنينة، أهَاب بطشهم، جُلهم يرفضون وجودي.

أتعلم؟ هذه البلدة لي فيها ثلاث ليال ولم أذق فيها الزاد، تخيَّل!

قاطعه "محمود" جاء وهو حامل كوبًا من السحلب الساخن، وقال:

-تفضل واعطني الأطباق إن كنت فرغت من الطعام، فناوله الأطباق وأخذ كوب السحلب.

صعد "محمود" وحكى لوالدته عن الغلام الذي يجلس مع "غريب" فصنعت كوبًا آخرًا من السحلب سريعًا ونزلت بصحبة ابنها لتكتشف الأمر بنفسها، فوجدت سالم يرتشف من السحلب الساخن، و"غريب" يرقبه متبسمًا.

ألقت السلام ومدَّت يدها لتعطي كوب السحلب "لغريب" فهذه المرة الأولى التي يرى فيها "حنان" سيدة المنزل، أخذ منها الكوب ونظر لها بامتنان.

سرد كلٌ منهما قصته لها، كسجال بلحنٍ حزين، وهي لا تكف عن البكاء، تنتحب كمن مات لها عزيز، رَفقَا بها وبقلبها الرقراق وكفّاَ عن مواصلة الحديث، وهي لا تدري ما كل هذا؟ وأي رثاء ترثيه بهما! وكيف تهدهد قلوبهما الغضة؟

باتت ليلتها تفكر بمأساة الطفلين، وبما يمكن أن تُسدي لهما؟

هداها الله لتلك الفكرة الطيبة، ساقها إليها انسياقًا، فكما هم يحتاجون من يمد لهم يد العون، هي أيضًا تحتاج لمن يجعلها وسيلة لفعل الخير، كم كان حلم عملًا صالحًا كصدقة جارية يراودها طيلة الفترة الماضية، الآن قد تبيَّن لها ماذا عليها أن تفعل، لم تقتصر الفكرة لمساعدتهما فحسب!

مؤكد وجود حالات مشابهة وأشد سوءً من تلك التي ساقها إليها القدر، باحت بما يجول بخاطرها لزوجها وشريكها "شريف"، فكلاهما متفقان في الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، كثيرًا ما كانت تلح عليه ببناء مسجد على قطعة الأرض التي تمتلكها وكأن القدر اختار ما كان ليجول بمخيلتهما، تغيَّرت بوصلة تفكيرهما، عدَّلا عن مسارهما لبناء مشروعًا خيريًا، دار رعاية للأيتام ولمن لا مأوى له، بعد صلاتهما صلاة استخارة.

همَّت في الصباح والشمس تدثر المنزل بدفئها، تنثر خيوطها الذهبية كما لو أنها لم تُمطر بالأمس، عازمة على فعل ما ظلَّت تفكر به طيلة الليل مع سندها وداعمها ومستشارها القانوني "شريف".

ذهبا لتسجيلها بشكل رسمي، والحصول على جميع الموافقات الإدارية اللازمة لإنشائها، لتكتسب الأهلية القانونية للقيام بعملها.

وهاهي في أولى خطواتها لتحقيق حلمها، حلم الارتقاء بالنفس البشرية، حلم الذكرى الخالدة،حلم الأثر الطيب، ثمَّة أمل يشرق ليسمو بروحها.

بينما هما في طريقهما سألها:

-ماذا تنوي أن تسمي المشروع؟

صمتت هنيهة وأردفت والبسمة تعلو ثغرها:

- "دار الغريب"

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول...

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة...

أمَّا بعد...

إلى كل هاوٍ وممتهن بساحة الأدب اجتمعوا، إلى الجمع وإن تفرَّق، فلكلٍ منكم وجهة ومنهاجًا، ولكلٍ هدفه المتباين، فبين أزقة الأدب من يدس لنا العسل دساً بين طيات كلماته، فلله در من كتب حرفاً يسمو به في سماء الأدب يسطع بألق كلماته وسنا فكره، يُرسي فلسفته الخاصة ويهديها بين دفتي كتاب لقارئه دون جهدٍ أو عناء؛ وخاب وخسر من عرج وانتهج الغث والقميء من الكلم يروم به سمعة وشهرة سريعًا ما تخفت وتندثر.

من يسطر اليوم كان بالأمس قارئ نهم وتخمَّرت الأفكار المبيتة بعقله وجنحت إلى أن آلت إليه وفَرّشت صفحاته البيضاء لتصبح لوحة فنية ربَّما بديعة أو ساحرة أو حتى نافرة للناظرين؛ تختلف الذوائق وربما تتناقض هذا هو الحال.

إلى من يقف على أعتاب الساحة، إن أردت أن تعتلي عرش الرفعة فاعتني بقلمك واقرأ ثم اقرأ ثم اقرأ وانهل من العلم ما استطعت ولا تلج إلا وسلاحك بتَّار تشهر به لأعلى، ولا تكشف عن ساقيك فالساحة ليست صرحًا ممردًا من قوارير كما تعتقد هي فقط تُسحِر اللب وتنساق لها الأرواح...

إليَّ وإن كنت من البعض، أرى أن القشور ما هي إلا وهم وعلينا أن ننبش الأعماق لننهل الحقيقة والذهن حصيف لا يخطأ، علمتُ أن من البيان لسحر فوضعت لافتة صوب عيني مفادها (اللهم اجعل ما أخطَّه حُجةً لي لا عليَّ) فاللهم ثباتًا ونظر ثاقب لا يخفت...

محبَّتي الأبدية

المُخلصة

جيهان عوض

هذه ليلتي
بقلم
د/ نهلة التهامي

سطور من حياة

د / نهلة التهامي

❀ تخرَّجت في كلية العلوم - جامعة عين شمس (التحقت بها منذ ٢٠٠٥ وإلى الآن أنتسب لها فكلَّما فرغت من دراسة جذبتني أخرى).

❀ أدمن العلم وأدعو الله أن أشفى منه بعد أن أتممت دراستين علويتين ولا أجد نفسي أقدم لثالثة.

❀ عملي كأخصائي تحاليل طبية لسنوات أتاح لي التعامل مع كافة الفئات والأعمار لأتابع عن كثب أدب الواقع.

❀ لست أزعم أني كاتبة بعد، فقط أتخذها هواية لعرض بعض أفكاري وتجارب آخرين مروا عبري.

❀ اشتركت بقصة قصيرة **"ظل من بُعد أخر"** ضمن كتاب **"رسائل خطَّها الشيطان"** بمعرض الكتاب ٢٠١٧م.

* قصة قصيرة "**انتفاضة روح**" في مجموعة قصصية "**نون النسوة**" لدار الشهد للنشر والتوزيع "**مبادرة نساء مُبدعات للعمل الأدبي**".

* ثلاث قصص قصيرة بكتاب "**حكايا**" الإلكترونى من خلال دار مشاعر غالية للنشر الإلكترونى.

* قصة قصيرة "**ظهر أجوف**" كتاب "**ببلومانيا**" الإلكترونى، دار نشر ببلومانيا للنشر والتوزيع.

* خاطرة "**شجاعتى فى هروبي منك**" في كتاب "**ببلومانيا خواطر**" دار ببلومانيا للنشر والتوزيع الإلكترني.

* قصة قصيرة "**وهج الظلام**" في المجموعة القصصية "**الرجال لا يتزوجون الجميلات**" لدار ضاد للنشر والتوزيع معرض الكتاب ٢٠١٨م.

* قصة قصيرة "**ما بعد التخاريف**" في المجموعة القصصية "**صحائف إبليس**" للمكتبة العربية للنشر والتوزيع معرض الكتاب ٢٠١٨م.

* قصة قصيرة "**حياة واجبة**" فى مجموعة قصصية "**أهو دا اللى صار**" مبادرة نساء مبدعات دار الشهد للنشر والتوزيع.

❀ قصة قصيرة "**ظهر من ذهب**" بالمجموعة الخامسة "**رغم الوجع**" مبادرة نساء مبدعات دار الشهد للنشر والتوزيع.

❀ مجموعتي الإلكترونية الأولى "**يوميات مدام علال الدين**" بمكانتها الخاصة لديَّ؛ ليست لأنها أول عمل خاص لي بل لأنها الوحيدة الساخرة بلهجة مصرية عامية دارجة بمعرض الكتاب الإلكترونى ٢٠١٧ وعدد من الجروبات الأدبية.

❀ مجموعتي القصصية الورقية الأولى "**أخبار جانبية**" بمعرض القاهرة الدولى للكتاب ٢٠١٩م لدار المكتبة العربية للنشر والتوزيع.

❀ **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

هذه ليلتي

تهاديت بفعل ثقل أحمالي، كعادتي تبضَّعت بطريق عودتي للمنزل بعد يوم عمل شاق، اسمي روفيدا، ثلاثينية أعدوا للأربعين بجدارة، أعمل كإخصائية اجتماعية بمدرسة خاصة ليست بالقريبة ولا النائية وتلك هي مشكلتي معها، قريبة من منزلي ولكنَّها أبعد من أن أصل إليها سيرًا ليصبح التوكتوك هو وسيلة مواصلتي الوحيدة لها فهو وحده القادر على مراوغة ضيق الشوارع وانحرافاتها، في حالة عدم توافره لشدة الإقبال عليه كالآن لا يسعني إلا أن أمشي وابنتي الصغرى آية.

هدرت بقوة: آية، فعادت صغيرتى لمحيطي بعد أن كادت تبعد عن مجال ذراعي، أرتعب إذا ما تركت مداري، ألحقتها بمدرستى لتظل صوب نظري وهو مالا تطيقه، تلومني على متابعتي لها بين الحين والآخر حتى أنها أصرَّت ذات ليلة ألا تذهب للمدرسة إذا ما وعدتها بعدم التدخل بشئونها طوال اليوم الدراسي، عجبًا لابنة الثماني أعوام وتحكُّماتها، من جديد وقفت برهة ألتقط أنفاسي وأصرخ بآية أن تكف عن ركل حقيبتها وأن تُحسِن حملها، في غمرة وقع الأسامي الجديدة والغريبة التي

أطاحت بصواب الجميع تأتي تسميتي لأبنائى بأسماء عادية مثار حيرة معارفي، ابني الأكبر يوسف وصغيرتي آية هما كل ما أملك، بعد ما مررت به من ملحقات غرابة اسمى طوال حياتي أصريت أن يحمل أبنائي من الأسماء ما يليق بكل زمان ومكان حتى لو لم يعجبهم هذا الآن.

علا نفير مزعج تلاه سيمفونية من الكلاكسات المروعة، لا أميز كثيرًا نفير سيارة الإسعاف من المطافي ولكن أدعو الله أن يؤتى بطيب العواقب بعدما اجتمع النفيرين، أدَّى الزحام بالشارع الرئيسي إلى محاولة السيارات الهروب عبر الشوارع الجانبية لتزيد الأزمة المرورية أكثر، جفَّفت وجهي ووجدت أصبع خالي لتتعلق به آية حتى نعدو من ذلك الزحام الخانق، هانت لقد وصلنا لشارعنا، دقائق وأغمر وجهى بالماء البارد وأدع عني حملي الثقيل. هنا هاجمنى دخان خانق ومزيج من الأصوات الصارخة؛ يوجد حريق بشارعنا!! من بعيد رأيت سيارة الدفاع المدني فى أخر الشارع يفصلنى عنها الكثير من الأشخاص والسيَّارات، يفصلونني عن منزلي!

دبَّ الرعب في قلبي وتوقف عقلي إلا من دعاء يارب سلم يارب سلم، الآن موعد عودة زوجي عصام ليجد ابننا الأكبر

يوسف قد عاد من مدرسته الإعدادية، سيلومني عن تأخري بإعداد الطعام وسيتخذها يوسف حجة ليبتاع حلوى ويمضي قرابة الساعة مع رفقائه بالشارع ليعود متعب من أن يؤدي واجبه المدرسي، ليتهم يتأخرون اليوم في العودة للمنزل، ليتك يا يوسف تمضي لتلعب مع أقرانك بجانب المدرسة ولا تعد الآن، نفير من سيارة تواجهنى هاربة من معركة الحريق أعادني للواقع، أجر قدمى جرًا لأعدو كالمجنونة صوب عمارتنا، غلفنا دخان أسود يعمي البصر ويحرق العين والقلب معًا.

أشعر بلفحات من المياة تتناثر أثر عدوي عليها، مسح الشارع بمياه الإطفاء كما لم يفعل منذ أخر عهدنا البعيد بالمطر، ألا يا ليت هناك مطر يطفئ الحريق بقلبي وبالعمارة، توقفت بغتة بعد أن سقطت آية فجأة، هنا فقط نظرت ليداي أجدهم فارغتين إلا من يد الصغيرة أعتصرها بيدي، لابد أنني فقدت حملي ولست أبالي به، أنهضتها وتابعنا العدو، مزيد من العبارات تتصارع بأذني؛ إرجعى، الطريق مغلق، ربنا يعوض عليهم، يتناثر الجيران والمارة بالشارع مع رجال الإطفاء بفوضى عارمة، يتواثب الجمع عكسي بعيدًا عن وهج الحريق بينما أعدو تجاهه، مرَّ بجانبي قط يركض عكسي مسرعًا هاربًا من ذيله المتأجج بالنيران.

اصطدمت عيناي الدامعة وقلبي المُدمَّر برؤية نار عظيمة شبَّت واستولت على عمارتنا، تراقصت النيران على بنايتنا، تطل من نوافذها تلهب العقل خيالًا، للحظات لم أعي سوى حمرة النيران بألسنة لهبها تغيظني وسواد دخانها الكثيف يخنقني وبرودة المياة بقدمي تُخدِّرني، لقد اعتدت على عري الأشجار من أوراقها بفعل الخريف لا الحريق، ها هي الشجرة أمام بنايتنا وقد التهمت النيران خيراتها وتركتها جزع محترق، يتصارع رجال الإطفاء بكل صوب للسيطرة على الحريق، يعملون جاهدين لمقاومة الحريق ومحاولة إخماده قبل انتشاره وإلحاقه أضرارًا أكبر في الممتلكات، والأرواح لم أدري ماذا أنا بفاعلة؟ هل أعدو لأخترق النيران بحثًا عن ابني وزوجي أم أحترق من انتظار أي خبر عنهما؟! تعلَّقت بي آية وبدأت بالبكاء، انهارت تبكي عسى أن تطفأ دموعها تلك النيران، نشيجها ألهب دمعي.

أخذت بسؤال كل من أراه عن الشقة السادسة بالدور الثالث هل بها أحد؟ لم يشف أحدًا ناري، الحريق امتدَّ عبر المنور لعدد من الشقق، أركض بأعقاب الرجال بحثًا عن مصابين أو ناجيين، لن أحتمل فقد أى من الخيارين، ظلَّ قلبي يناجي ربه داعيًا بالنجاة وعقلي يعبث به الشيطان بسوء الظن، الكثير من ماذا لو

أحالت أعصابي للانهيار، ماذا لوعاد يوسف مبكرًا من مدرسته وانشغل باللعب بهاتفه الذى يصبح حينها كل دنياه؟ ماذا لو لم ينتبه للحريق لينجو بنفسه في اللحظة الحاسمة؟ ماذا لو كان الحريق بفعله عساه أراد تحضير طعام وغفل عنه كعادته؟ ماذا لو أن عصام عاد مبكرًا وأثر النوم قبل الغذاء؟ ماذا لو أن أحدهم أو كلاهما سقط من الاختناق لا الحريق؟ لوعتى تزايدت وبحَّ صوتي من الصراخ حتى تهاويت أفترش الرصيف.

بدأ سعال آية يتزايد، تراكم الدخان حولنا حتى كاد يخنقنا. حملتها وعدوت بها بعيدًا حتى صادفتني سيارة إسعاف على بُعد أمتار قليلة، دون كلمة أخذوا مني آية وبدأوا بإسعافها وتضميد جراح ساقها من أثر السقوط، أحدهم قام بقياس ضغطي وأعطاني عدة أنفاس من أسطوانة الأكسجين علَّها تزيل الرماد بصدرى. هاجمني صراخ هادر لأنين، بسيارة إسعاف مجاورة تم نقل واحدة من جيرانى لم أتمكن من معرفتها بسبب الحريق، فقط أدمت قلبي بدمائها الممزوجة مع نسيج ثيابها المحترقة، ارتجفت هلعًا ريثما ابتعد نفير الإسعاف ناقلًا إياها لمستشفى قريب، كم مرَّ من الوقت لا أدري قبل أن أعود لأقف على بعد خطوات من بنايتنا السوداء، ضاعت ملامحها الجمالية ومدخلها الأنيق وإن

حافظت على شرط وحدة الوجهة بأن اعتراها جميعها السواد.

من بعيد رأيت رجال الإطفاء والشرطة تمنع الوافدين من الدخول للعمارة لحين الانتهاء من عملية التبريد تأمينًا على عدم اندلاع حريق جديد، لا أعرف لِمَا أشعر أنني جوفاء بعد أن نضبت طاقتي وجفَّت دموعي!

لقد أتت النيران على مشاعري وأحلامي وأعصابي، عقلي بدأ يرى ما تراه عيناي، جيرانى رفقاء السكن حولي كلٌ يعدو بواديه، ها هي مدام مها تختفي تحت عباءة رجالية تبرَّع بها أحدهم لتخفي بها ثوبها المنزلي، يسير عم جاد حافي القدمين ويعاون أحدهم في حمل صغير فاقد الوعي بفعل الاختناق، نجوى تتمسك بما أنقذته من أشياء وتبكي ضياع منزلها كما منع بعضهم أخر من أن يخترق النيران فأخذ يرتطم الجدار برأسه هلعًا على أسرته، يركض عمر بجانبي فاستوقفه لسؤاله عن يوسف ابني وصديقه ليجيبني بأنه لم يراه اليوم ولم يفتني أثر الحريق بذراعه واللهب الذي أطار القليل من شعر رأسه، صغيرة تتشبث برعب بدميتها المحترقة بجانب رجل يعلوه الرماد ويمسح بيده السواد عن ابنته، اعتصرت يد آية بيدي فتلك المشاعر لا ولن تصفها الكلمات.

لقد هاجم الحريق الجميع على حين غرة مهاجمة الخسيس، حمدت الله على عدم تواجدي حين نشب الحريق، هل كنت سأنجح في الفرار أم سيجبرني أي عائق على مواجهة آلام الاحتراق كتلك التي ذاقته ورأيتها؟ حقًا إن العذاب بالنار هو الأشد وطئة على النفس لذا أختص الله نفسه به، رجوت الله أن ينقذني من عذاب الاحتراق والنيران بدنياي وآخرتي وأن يحفظ أسرتي كذلك منه، أسرتي، أه يا أسرتي.

نامت صغيرتي بحضني بعد أن أنهكها البكاء والصراخ، نظرت لوجهها وثيابها الملطخين بالوحل وفكرت بيوسف وما عساه اجتاز اليوم وهل سأراه مرة أخرى أم....

جزء من قلبي انفطر ألمًا، لا أعلم لما شعرت أنني لست عادلة بلسان دعائي الدائم ليوسف، بالرغم من اعتصار روحي لفكرة فقد توأمه، عصام، كل تلك الضحكات والمواقف الصغيرة قبل تلك الكبيرة وكل المشاعر واللحظات الحانية بيننا تجمعنا جالت بقلبي، رفيق دربي وسندي بدنياي، مشاحنتنا سويًا التي غالبًا ما تنتهي كما بدأت فجأة ودون أن تخلف أي أثر دائم، لكم كان زوجًا كريمًا..... كان!!! كلَّا، احفظه ربي وأعده لي وابني سالمين فلست على حمل فراق أحدهم بقادرة بعد.

مرَّ الوقت بطيئًا أم ركضت بي الساعات حتى خلتني أرى يوسف وأباه يركضان تجاهي، نهضت من على الرصيف فجأة حتى كادت آية تسقط مني، أتخالني أرى سراب؟ كلا، لقد استجاب الله أخيرًا لدعائي ورأيتهم معافيين بأم عيني وإن أطلَّت نظرات فزعة على وجوههم، لمَّا وصلا كانا يرشحان بالعرق ويلهثان، كان وجه عصام الأسمر الداكن أصبح شاحب من الخوف علينا بعدما رأى العمارة بحالتها تلك، استيقظت آية فزعة من اعتصار عصام لنا ثمَّ ما لبثت أن تعلَّقت برقبته وقد تهلَّل وجهها.

لم أكف عن تقبيل يوسف ولم تكف دموعي عن الهطول حتى تلوث وجهه بالوحل، خارت قوانا وجلسنا جميعًا على الرصيف يخشى أحدنا أن ترمش عينه فيختفي الآخرون من أمامه كالحلم، كسر عصام صمتنا الوجل بالسؤال عمَّا حدث؟ ألا يعلم؟! نظرت لعمارتنا المحترقة وقد أنطفأت بعد وهجها الحارق، رويت له كيف عدت لأجد العمارة تحترق وكيف تناثر الساكنين منها، لم تعد الكلمات تصلح لأن تُعبِّر عمَّا لاقيته أو شعرت به اللحظات الماضية كل تلك المشاعر المتضاربة داخلى تجمعت لتسكب عينى المزيد من الدموع، ألا زالت بها دموع؟! ربت عصام عليَّ في حين ارتمى يوسف في حضنى وقد فكر لأول مرة في احتمال رحيلي الدائم عنه دون وداع.

على الرغم من كون يوسف بعمر مناسب لأن يعي حقيقة الموت إلا أنه لم يفكر في فقدانه أحدنا، أسئلة طلَّت من عينيه حملت معها هلعه، صدمته الظاهرة جعلتني أشفق عليه حين تحين ساعة رحيلنا حقًا، سمعته يتمم بصوت خافت؛ غريبة، لا يتوقع أحد أن يصاب الأشخاص الذين نحبهم بالمرض أو الموت، بل نتخيلهم بغباء سيظلون معنا إلى الأبد بطريقةٍ ما، لم يترك يوسف يدي وزاد من ضغطه عليها، نظراته الهلعة في رؤية الدمار حوله تعود كل مرة لتستقر علينا ليتأكد من نجاتنا من تلك الفاجعة، تلاصقنا سويًا كان حزام الأمان لنا جميعًا.

بدوري سألت عصام عن سبب عودته المتأخرة تلك مع يوسف التي أحمد الله عليها كثيرًا، ربَّما لم يكن توقيت السؤال مناسبًا ولكنني انتظرت الإجابة بشوق، فلولا تأخيرهم لفرغ قلبي من دمائه، بدأ عصام ينظر ليوسف مؤنبًا على شقاوته البالغة في المدرسة حتى أنه دخل بشجار عنيف أدَّى لإصابة زميله يحيى وطلب المدرسة له هاتفيًا بسرعة الحضور لمعاقبة ابنه ورؤية عاقبة صنيعه، لقد أصرَّ عصام أن يرافق يحيى لتقطيب جرحه ثم لإيصاله لمنزله مع تقديم وافر الأسف لوالديه عنه ويوسف، لقد

وافق قرار إدارة المدرسة على فصل يوسف أسبوع كما تعهَّد بتأديبه جيدًا كيلا يكرِّر أفعاله أو يتخذ من العنف سبيلًا يحل به مشاكله بدلًا من مواجهتها.

لأول مرة أكن ممتنة لشقاوة ابني في ظروف أخرى كان سيواجه عاصفتي الغاضبة، وحده القادر على نزع فتيل أعصابي بأفعاله الهوجاء وأسلوبه المستهتر، كل الهراء عن تمالك الأعصاب مما درسته والتعامل به كصميم عملي بل حتى أن أنصح به الآخرون لا يعدو أن يكن هراءً إذا ما اقترن بشقاوة يوسف وألاعيبه المراهقة، كنت لأخجل مما فعل لولا كونه السبب فى تفادي مصيبة محقَّقة، ربَّما يفسر هذا نظرة الندم بعينه، سيكون لنا شأن أخر فيما بعد تخطي محنتنا، هكذا لن أقلق على عدم مواظبة يوسف على الذهاب لمدرسته فأمامنا أسبوع نتدبر أمرنا فيه.

بدأت الغيمة في السماء تتبدَّد وقد بدَّدت أحلامنا البسيطة معها، أين لنا بالمبيت الآن؟ ومن يمنحنا مأوى مناسب؟ بعد أن هدأ عقلي وقلبي باطمئناني على أفراد أسرتي، بدأت في الهلع لمصيرنا المجهول، منزل عائلتي بمحافظة نائية حيث يمكث

أغلب أفراد عائلتي إلا من رحم ربي وأتخذ من الهجرة سبيلًا، عصام وحيد وقد باع شقة أسرته ليبتاع تلك الشقة قبيل زواجنا، هل نتطفل على أحد الأصدقاء أم ماذا؟!

أسدل الليل علينا ستائره وحظينا بصفاء قل مثيله بتلك الأوقات، عمَّ سكون نسبي بعد أن رضخ الجميع لإرهاقهم، من بعيد طلَّ صوت أم كلثوم شاديًا "**هذه ليلتي وحلم حياتي بين نار من الزمان وأتٍ**" ربَّما ذلك المقهى البعيد هو مصدرها، ألا يكفينا ما نحن فيه ليطأ جراحنا بأغنيته، هذه هي حقًا ليلتنا الليلاء! لم يسبق لي سماع تلك الأغنية من قبل فلست ملمة بأغاني أم كلثوم بأكثر مما يُعدُّوا على أصابع اليدين، لاحقًا وجدتها تقول "**بين ماضٍ من الزمان وأتٍ**". لقد لعبت النيران بمخيلتى حتى أننى كسوت بها الأغنية، هل تخطَّينا النيران حقًا وأصبحت ماضًا لنا؟!

لم أشعر بالضياع كالآن قط، عدت لأسمع " **وديار كانت قديمًا ديارًا.. سترانا كما نراها قفارًا** " فطعنتني الأغنية بعمق في جراحي، ليس لنا الأن ديار وأين نحن من ديارنا الآن؟ تذكَّرت شقَّتي وجفَّ حلقي ألمًا، كنت أرغب بالقيام بالعديد من التجديدات التي كانت مثار خلاف بيني وعصام، لم نقم بأى

تجديد منذ زواجنا حتى باتت الجدران باهتة وفقد الأثاث رونقه. الآن أصبحت قفارًا مثلنا دونها، ذلك المقعد الوثير بمدخل الشقة، أفتقده، حالما أدلف للشقة أتهاوى عليه للحظات أسترد فيها أنفاسي قبل أن أحمل أثقال يدي مجددًا؛ دائمًا ما تحمل بيدها الكثير من الحقائب لا تتذكر راحتها منهم يومًا، إلا اليوم، لقد ذهب كل شيءٍ الآن، مصاغي الغالي وجهازي وكل ما لي، كيف لنا أن نعيش الآن وقد فقدنا أموالنا وثيابنا.

نظرت لأسرتي من جديد، كنا بأرجوحة في مهب الريح تلهو بها الحياة، إلام ستعصف بنا دنيانا؟ من حولنا بدأ جميع الجيران في ترتيب أوراقه، كانت هناك نظرة واحدة على كل الوجوه، نظرة مليئة بالخوف والضياع واليأس المطلق، همهمات يائسة من كل صوب وأخرى حانقة، مازالت أم كلثوم تغني "**سوف تلهو بنا الحياة وتسخر**"؛ لكم كرهت تلك الأغنية وعاهدت نفسي على عدم سماعها مجدَّدًا تحت أي ظرف، لقد صرعتنا الحياة بلعبها وسخرت منا الحياة بالفعل، الكل يبكي تحويشة العمر من أموال وذهب ونفائس وعقار وحمدًا لله على سلامة تحويشة العمر من الأبناء، بصوت أجش من الصراخ سألت إحداهن ألا من مساكن

تؤينا توفرها لنا الحكومة حتى يقض الله أمرًا كان مفعولًا، تعالت الأصوات واقترب شبح لمعسكر الإيواء بخيماته الرثة البالية من الظهور بمخيلتنا كما الأفلام، بدأ البعض بالمناداة بحقوق المواطنة وضرورة الصراخ بمطالبنا، قبل مضي الساعة أصمت اليأس أفواه الجميع، علمنا أن صراخنا سيسقط في آذان صماء فصمتنا.

أضاء رجال الإطفاء كشَّافات ضخمة أحالوا بها الليل نهارًا. رائحة الدخان والرماد منتشرة في المنطقة رغم تمكن عناصر الإطفاء من السيطرة على الحريق، كان قد رحل ثلاث أسر من أصل عشرة، اثنتان تدبروا أمرهم إما بمسكن أخر أو اللجوء لأحد الأقارب وواحدة في المستشفى بعد أن تعرَّفت على جارتي المحترقة واكتشفت غياب أسرتها عن التناثر معنا بالشارع، جاء جيران الشارع لمواساتنا علُّهم يخفِّفون من مآساتنا، حاول أهل الخير إمدادنا ببعض المقاعد والثياب لمن يرتجف بردًا وخجلًا من ثياب المنزل أو لمن احترقت ثيابه، الكثير من تفضلوا عندنا أثلج القلب قبل أن ينفض العارضون لحياتهم الهانئة، انفرط عقد حديثنا الجامع وبدأت كل أسرة في تدبر أمورها وحيدة، عدنا لننغلق بأفكارنا وأوجاعنا عن الجميع وإن تشابهت.

غلَّفنا الضياع، نظرات حملت من الحديث الكثير، نضج يوسف وارتعبت آية وعصف الفكر بعصام، أين الملاذ؟! كيف سنكمل حياتنا؟ متى نأكل؟ ألن نعود لسابق حياتنا؟ ماذا بعد أن احترقت كل ثيابنا وكتبنا وألعابنا؟ كيف سأمضي بالأسرة لبر الأمان وأين لي بقشة أتمسك بها لأنقذهم؟

لكل منا هواجسه؛ تتسائل بصمت عن المستقبل القريب. كلٌ منا يخشى أن يصُرِّح بأفكاره علانيةً، كلنا خائف، ملأ عقلي هموم وتمنيت العودة لسابق وتيرتنا اليومية الهانئة، لن أثقل على عصام بأى تجديدات، لن ألوم يوسف لإهماله بحاجياته ولن أصرخ بعبث آية بنظام البيت، فقط العودة والاستيقاظ من كابوسنا الناري القاتم.

أشتعلت أحلامي وأفكاري برأسي تاركة رماد حلم، هل أودِّع ذكرياتي بمنزلي للأبد؟ خفَّ ضجيج الألم من رأسي فلم يبقى سوى الرماد، تعجبت لشوقي لأشياء بسيطة أصبحت حلم لي الآن، كدت أبكي حنينًا لحياتي بل حتى لكوبي المفضل حين يمتلئ بالشاي الساخن ليوقظني في الصباح وأخلد به لنوم هادئ بالمساء.

غرقنا في ظلام دامس ظننت أنه بسبب أفكارنا حتى استوعبت أن رجال الإطفاء أطفأوا كشافاتهم الضخمة، بدأوا يركبون سيارتهم متعبين في حين وقف أحدهم؛ ربما قائدهم، أمامنا، التففنا جميعنا حوله، بدأ بمواساتنا لما فقدنا قبل أن يعلن أن مصدر الحريق بالدور الرابع حيث احترقت كلتا الشقتين بالدور، لقد حاولوا الخروج بأقل ضرر ممكن وحمدًا لله على عدم وجود قتلى أو أحدًا في عداد المفقودين، حاولوا حماية الأثاث والممتلكات بعيدًا عن النيران؛ خوفًا من تأثرها بتبعات الحريق، كالدَّخان أو الماء أو الرماد، قاموا بتهوية مكان الحريق فور إخماد النيران للتخلُّص من تجمع الغازات، والدخان المحصور في الأماكن المغلقة، خوفًا من أن تشكل ضغط كبير في مكان الحادث مما يؤدي لحدوث انفجار يُلحق أضرارًا جسيمة في البناية أو الأفراد، مازال التحقيق في مسبِّبات الحريق مستمر وستتابع الشرطة تحقيقاتها كذلك.

عشرات الأسئلة انهالت عليه قبل أن يجيب بهدوء اكتسبه عبر التجارب والخبرات أن هناك درجات متفاوتة فى الحريق بكل شقة بينما لا خوف على أساس العمارة بفعل الحريق، أضاف أن هناك

شقق لم تصب بأكثر من رماد، بصيص من الأمل دبَّ بقلبي، أذن لنا أخيرًا بالصعود وتمَّ فك الحصار، المصعد بالتأكيد معطل ولن يجرؤ أحد على تجربته، صعدنا الدرج وجلين، نخشى الحقيقة كما بات الأمل يؤلم، وبقلوب واجفة دخلنا شقتنا، حاولت إثناء طفلي عن الدخول ريثما نستطلع الأمر لكنهم أبوا بتصميم.

تجولت في المنزل فرأيت مدى الضرر والدمار الذي خلفه الحريق، لم أعلم بعد بما أشعر؟! هل أسعد بأثاثي السليم معظمه أم أحزن بعد أن كسا الرماد جدراني! ربت على الجدران السوداء أشكرها على التحمل والصمود أمام النيران، تفقدت بلهفة أشيائي؛ أجهزتي الكهربائية يدي اليمنى واليسرى بالمنزل، ثيابي وأدوات زينتي وبالطبع شبكتي الذهبية، مرآتي المغبرة المذهبة سابقًا وتحفي الملقاة بركن الغرفة، كدت أقبل الأثاث سعادة، لم نفقد كل شيء بعد، مطبخي الأسود من فحم الشواء، كوبي المفضل المحطم وأواني الطهى المبعثرة الفارغة نكزت معدتي.

تجمَّعنا بالصالة كلنا يحمل نظرة أقرب إلى البلاهة، سعداء بمنزلنا، بجدران تأوينا الطريق وملابس تكفينا البرد، بحياتنا السابقة بعد أن أصبح بإمكاننا التفكير برجوعها من جديد ببعض

التعب والجهد، بلمَّتنا سويًا ليس بيننا فقيد أو مصاب، فقط غصة تخنقنا حين نرى الحريق قد وضع بصمته في كل مكان، رهبة من أتٍ قد يسحق أحلامنا من جديد، حاولت أن أتماسك، جلست غير عابئة بثيابي الملطخة أن تزيل أثار الرماد من المقعد، نظرت لعصام وقد أفترش الكنبة بجسده طالبًا لراحة بعد تعب عقلي مضن، عادت آية بهرتها اللعبة بينما تفقَّد يوسف ويالللعجب كتبه، جلسا جنبًا إلى جنب دون أن يبدئا بالصراخ والتناحر، لقد هزَّتهم الصدمة عميقًا وخيرًا فعلت لعلاقتهم.

لم ينج من دائرة الحزن في هذه الليلة أحد، نعلم أن ألسنة اللهب ستطارد أحلامنا ويقظانا ما حيينا وأن رمادًا قد غلَّف قلوبنا، لم أعلم لم ظللت أردد أغنية هذه ليلتي بعقلي كأنما حُفرت كلماتها بمعاناتي، هذه حقًا ليلتي؛ ليلة المخاوف والآمال. أطول لياليا وأتعبها، ليلة لن تُنسى أو تُمحى من وجداننا المصابة، ليلة بألف عام، لا شيء سينتزع رماد الحريق ودخانه من صدري أو يمحو صراخ مصابة الحريق من أذني، ستظل تطاردني الظنون ونغز بقلبي ذكرى اليوم ما حييت، لن يمحو الزمن أثارًا حفرت بألم في ثنايا الروح والعقل، سيظل شبح اليوم يطاردني ولكني سأدعوه ليرحل عني اليوم.

أصريت على التشبث بأطياف أحلام وأماني بغدٍ مشرق، لقد انخفض سقف آمالنا لنرضى بأقل القليل يكفينا جدرانًا تأوينا، كما تراقصت بعقلي خطة لمطالبة عصام بإعادة دهان الشقة بالكامل وتجديد أثاثنا بعد أن غزاهم آثار الحريق، صحت بهم وقد عصفت الأفكار بكل واحد منهم: لن أحتمل أن أشم رائحة لشياط الطعام فلنطلب طعام جاهز لنا ريثما نطرد الرماد عن غرفة نوم واحدة ثم نتبادل الاستحمام ولنا في الغد شأنٍ أخر.

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

أمَّا بعد...

رسالتي ليست إلى مجهول بعينه بل إلى المجهول ذاته،

سلامًا عليك أيها المجهول، لقد انتظرت طويلًا لأكتب لك رسالتي؛ بل هي رسالتي للحياة!! أيها المجهول كنت ومازلت بالنسبة لي الضوء الساطع الذي يغشى الأبصار حد العتمة، مبهم، مخيف ودافئ، فلتكن تلك أولى رسائلي إليك وربَّما آخرها، فلست أدري بعد ماذا أقول؟ إن أكثر ما قيل وأثر بي كان في شرح أساس البحث العلمي!! حينما قيل إن البحث العلمي ماهو إلا جدار عملاق من أبحاث واكتشافات الآخرين؛ نرتكز عليه لوضع حجرنا الخاص ونهيأ لمن بعدنا بأن يرتكز علينا ليعلو الجدار ونكون جزء ولو صغير من صرحه العملاق!

إن الحياة هي تلك الجدار التي نأتي لها معتمدين على تاريخ وقيم وعلم الأسبقين ويظل مسعانا الدائم بها أن نترك قليلاً من الأثر للاحقين، حلمنا الأبيض أن نكن جزء مؤثر من

تروس الحياة، طالما كان أشد ما يشغلني ليست الحياة بدروبها وأسرارها بل ولا حتى بنهايتها بل ما نخلفه من أثر، أثر ما بعد النهاية؛ إنه ذلك الطيف من الذكرى الذي يبقى بعد زوال كل شيء، كل الصراعات والنجاحات سويًا مع كل الإخفاقات ستنتهي يومًا ويظل التاريخ ليُذكِّرنا بها؛ أشفق على كاتبيه فهم بالفعل في امتحان عصيب.

أحلم أيها المجهول أن نملك جميعنا تلك العين البصيرة التي ترى حقائق الأمور بعين العقل حيث تترفع عن صراعات الحاضر وتبقى دائمًا يقظة لعواقبه، ربَّما حينها لم نكن لنخشى كتاب الآخرة.

أيها المجهول بعيدًا كنت أم قريب لتعلم أنني وضعت حجرًا بجدار العلم وأتمنى أن أضع أخر بالأدب راجية أن يظل لي قليلًا من طيب الأثر، وأخيرًا لتعلم إن الإنسان يفوز في الحياة بقدر ما يخسر بها.

محبتي الأبدية

المخلصة

د انهلة التهامي

شقة عمي
شقة عمي
بقلم
نهى فتحي

سطور من حياة

نهى فتحي

❁ نهى فتحي بيومي، حاصلة على ليسانس آداب قسم دراسات فلسفية من جامعة عين شمس.

❁ تم نشر عدد من القصص القصيرة لي في مجموعة من الكتب منها:

❁ قصة "**لعبة الموت**" في كتاب حكاوي القمر.

❁ قصة "**جارتنا الجديدة**" في كتاب رسائل حائرة.

❁ قصة "**الانعكاس المرعب**" في كتاب الطربوش الأحمر.

❁ جميع أعمالي تندرج تحت أدب الرعب.

❁ من أكثر الكُتَّاب المفضلين إليَّ في أدب الرعب في العالم العربي د/ "**أحمد خالد توفيق**".

❁ أطمح أن أصبح في المستقبل من أبرز كتاب الرعب في العصر الحديث.

❁ للتواصل معي علي الفيس صفحة الكاتبة
نهى فتحي "باللغة العربية "

شقة عمي

عقد وصية

أقر أنا / الحاج منصور مبروك جادالله.. المقيم بفيلا ١٦ بالمعادي وأنا في كامل قواي العقلية بتوزيع ثروتي كما يلي:

"البند الأول"

أوصي بقسمة تركتي من أموال ومحلَّات والفيلا طبقًا لقواعد الميراث في الشريعة بين ورثتي الشرعيين المنحصرين في

زوجتي السيدة/ خديجة عبد الكريم محمود .

وابني الأكبر/ محمود منصور مبروك .

وابني الأصغر/ أمجد منصور مبروك .

وابنتي/ سلوى منصور مبروك .

"البند الثاني"

أوصي بشقتي رقم ١٣ في العقار رقم ١٣ الكائن بشارع..... بمنطقة الزمالك إلى زوجة أخي عبد الحميد مبروك جادالله رحمه الله السيدة / هالة أسامة عبد العال.

وابنتها / نورا عبد الحميد مبروك جادالله.

وابنها / ناجي عبد الحميد مبروك جادالله.

" البند الثالث "

أكرِّر أنني في كامل قواي العقلية عند كتابتي هذه الوصية ولا تعتبر هذه الوصية نافذة إلا بوفاتي ولا يحق لأصحاب البند الأول الاعتراض على البند الثاني فهذه وصيتي وواجبة النفاذ.

إمضاء /

منصور مبروك

بعد عدَّة أشهر.....

"أخيرًا يا ولاد حصلنا عليها" قالت أمي هذه العبارة بكل سعادة وهي تتطلع إلى محتويات شقتنا الجديدة.

كنت أنا وأخي في حالة من الذهول.. كنَّا نتطلع إلى الشقة بأثاثها الفخم ونحن لا نصدق... أهذه بالفعل أصبحت شقَّتنا نحن.. إنها مثل القصر بالمقارنة بشقتنا القديمة المتواضعة.

تذكرت كيف حاربنا كثيرًا حتى حصلنا عليها من أولاد عمي منصور رحمه الله وأخيرًا حكمت المحكمة بصحة الوصية.

نظرت إلى أخي ناجي وجدته يبادلني نظرات الفرح ويقول "لا أصدق..أشعر بأنني أحلم"

صاحت أمي بي "هيَّا يا نورا لنبدأ على الفور بتنظيف الشقة وبعد ذلك نتناول الغداء"

انتهينا من تنظيف الشقة مع آذان المغرب وبدأنا بتناول الغداء.

توقَّفت عن الطعام وسألت أمي بحيرة "صحيح يا أمي حتى الآن لا أدري لماذا عمي أوصى لنا بهذه الشقة ونحن والجميع يعلم كيف كان يكرهنا وخلافه الدائم مع أبي رحمه الله ومنذ أن سافر طوال هذه السنوات لم يتصل بنا مرة واحدة حتى جنازة أبي لم يحضرها فلماذا يترك لنا شقة فخمة كتلك تساوي مبلغًا كبيرًا جدًا"

قالت أمي بتمهل "فكرت كثيرًا في ذلك ولم أجد سوى سبب وحيد وهو أن ضميره استيقظ أخيرًا قبل موته وندم على ما فعله بنا في الماضي فأحبَّ أن يُكفِّر عن ذنوبه... صحيح أنني كنت أكرهه بشدة ولكن بعد ما فعله هذا.. سيجعلني أدعو له بالرحمة ليل نهار"

قال ناجي "ولكني أستغرب كيف أولاد عمي لم يعلموا شيئًا

عن هذه الشقة إلا من خلال الوصية لماذا لم يخبرهم عنها عمي من قبل رغم أنه يمتلكها منذ سنوات عديدة حتى قبل سفره كما قال محاميه"

صاحت أمي بنفاذ صبر "لا أدري ولا يهمنا ذلك المهم أننا حصلنا عليها هيا أنت وأختك ساعدوني في حمل الأطباق وتنظيف السفرة"

مرَّت أكثر من ساعة وأنا في فراشي والنوم يجافيني كنت أنظر إلى السقف وأفكر لا أصدق أن هذه الغرفة الكبيرة غرفتي لي وحدي سوف أعزم جميع أصدقائي في الجامعة ليشاهدوا شقتي الجديدة.

كنت مستغرقة في أحلامي حتى انتبهت على وقع أقدام خارج غرفتي.... الوقت متأخر جدًا أمي بالتاكيد نائمة يمكن يكون ناجي .

لا أدري لماذا انتابني شعور بالقلق جعلني أنهض من فراشي لأتبين من صاحب الأقدام بالخارج.

خرجت من غرفتي... كانت الردهة مظلمة... هنا سمعت صوت زحزحة كرسي في الصالة... شعرت بالرعب قليلًا... الصالة أراها من مكاني هنا غارقة في الظلام أيضًا فبالتأكيد ليس

من يفعل ذلك أمي أو أخي وإلا لأشعلوا الضوء... من الممكن أن أكون توهمت هذا الصوت، هذه الفكرة هي ماشجعتني أن أسير باتجاه الصالة أتحسَّس طريقي في الظلام وما إن وصلت إليها حتى بدأت الرؤية تتضح لي قليلًا فلقد كان يوجد ضوء خافت بالصالة يأتي من الشباك أثر انعكاس ضوء عمود النور بالشارع وعلى أثر هذا الضوء الخافت رأيت خيال مايشبه طفل صغير يمر في الصالة أمامي بسرعة كبيرة... كتمت صرخة بيدي كادت أن تفلت من بين شفتي لتوقظ جميع سكان البناية ومددت يدي سريعًا وأضأت نور الصالة وما أن غمر الضوء الصالة بأكملها حتى تفحصت بعيني كل شبر فيها..كان كل شيء كما هو ولا يوجد أثر لأي طفل... كنت أرتجف وظللت أقنع نفسي أنه وهم والظلام ساعد على خلقه... ومع ذلك لم أستطع إطفاء النور تركته مضاءً وهممت بالرجوع إلى غرفتي ولكني شعرت بالرغبة في دخول الحمام بالتاكيد أحتاج لذلك بعد هذا الكم من التوتر... ذهبت إلى الحمام وما إن أغلقته حتى شعرت بانقباض قلبي أشعر كأن أحد معي بالحمام يراقبني حاولت التغاضي عن هذا الشعور ووقفت أمام الحوض لغسل وجهي وحانت مني نظرة إلى المرآة أمامي فرأيت ما جعل شعر رأسي يشيب... فلقد

رأيت خيال وراء ستارة البانيو خلفي... خيال من طوله وحجمه يدل أنه خيال لطفل يقف خلف الستارة ويبدو أن هذا الخيال لاحظ أني أنظر إليه فبدأ يُحرِّك رأسه يمينًا ويسارًا بإيقاع بطيء مرعب.

لم أستطع كتم صراخي أكثر من ذلك صرخت عاليًا وأسرعت إلى الباب بسرعة جنونية وخرجت إلى الردهة المظلمة أجري وأنا أصرخ...حتى اصطدمت في الظلام بجسد شخص كان يأتي في الاتجاه المعاكس بسرعة كبيرة هو الآخر وظللت أصرخ حتى سمعت صوت مألوف يقول "اهدئي يا نورا أنا ناجي أخوكِ" ارتميت بحضنه وأنا أبكي بجنون ولاحظت أنه هو الآخر يرتجف:

أخبرته وأنا أبكي "يوجد عفريت لطفل صغير كان بالصالة وبعد ذلك كان معي بالحمام"

قال ناجي بانفعال: " إنها شقة ملعونة بالتأكيد... أنا أيضًا حدث معي شيئًا مرعب.. لقد سمعت صوت بغرفتي واستيقظت فوجدت شابًا يقف أمام فراشي ينظر لي ويمسك بيده مسدس ظننت في البداية أنه لص وسيقتلني ولكني فوجئت به يمسك المسدس ويقول لي: (لا أستطيع العيش بدونها) وقتل نفسه برصاصة في رأسه فنهضت على الفور من الفراش مذعورًا لأراه

فوجدته ينهض والدماء تسيل من جبهته ويكرِّر نفس الجملة ويقتل نفسه مرة أخرى فخرجت أجري من غرفتي حتى أصطدمت بك.

هنا سمعنا صوت صراخ أمي يبدو أنها ليلة حافلة بالصراخ ... أسرعنا أنا وناجي إلى غرفتها وحاولنا فتح الباب لكنه كان موصدًا من الداخل ظللنا نضرب الباب بكل قوتنا وسمعنا صوت أمي بالداخل تقول كلامًا غريبًا (أي فاتورة كهرباء لقد استلمت الشقة اليوم فقط)

تبادلنا أنا وأخي النظرات أي فاتورة كهرباء تتحدث عنها وفجأة انفتح الباب وكانت أمي تندفع منه إلى الخارج فاصطدمت بنا فسقطنا ثلاثتنا أرضًا ورأينا من كانت تحدثه كان رجل يبدو على بعض أجزاء من وجهه الاحتراق صرخنا ونهضنا من على الأرض ونحن نتسابق في الجري إلى الصالة ووجدناهم أمامنا.

الأشباح الثلاثة طفل صغير عاري تمامًا من أي ملابس ورجل وجهه شبه محترق يمسك بيده ورقة والأخير شاب يمسك بيده مسدسًا وآثار دماء تسيل من جبهته.

كانوا يقتربون منا ببطئ ويتحدثون في آنٍ واحد كان الطفل

يكرِّرعبارة (أشم رائحة غاز يا أمي) والرجل ذو الوجه المحترق يكرِّرعبارة (حان دفع فاتورة الكهرباء) والشاب يردِّد (لا أستطيع العيش بدونها) كنا نصرخ بأعلى صوتنا وكانوا هم يقتربون منا محاولين الإمساك بنا.

سنموت لا محالة...هنا أحسست بيد ناجي تدفعني أنا وأمي باتجاه باب الشقة فتسابقنا بجنون للوصول إليه وفتحناه وخرجنا وأسرعنا بغلقه بقوة خلفنا ونزلنا طوابق البناية بسرعة رهيبة حتى وصلنا للمدخل ونحن نلهث بشدة... حاولنا فتح باب البناية ولكنه كان موصدًا... لم يكن أمامنا إلا أن جلسنا على الأرض نحاول أن نستجمع أعصابنا ونفكر ماذا سنفعل... أمي كانت تردِّد بصوت مرتجف " إنها شقة مسكونة... إنها شقة مسكونة "

حضنتها في محاولة مني لتهدئتها.... نظرت إلى أخي وجدته ينظر للفراغ أمامه بنظرة خاوية ولا ينطق بكلمة.

لا أعلم كيف مرَّ بنا الوقت؟! ولا كيف غفوت؟! كل ما أذكره شعوري بالرعب عندما تسلَّل إلى أذني صوت رجل استيقظت سريعًا ورأيت أمامي وجه لرجل يبدو مألوفًا بهذا الرباط الطبي الذي يحيط برأسه وهذا الجلباب الكحلي الذي

يرتديه... تذكرته إنه عم مصلحي بواب البناية.... كيف نسيناه في أحداث الأمس.

نظرت بجانبي وجدت أخي وأمي مستيقظين بجانبي... يبدو أنني أخر من استيقظ فيهم.... نهضنا ثلاثتنا بخجل.

كان مصلحي ينظر لنا بدهشة كبيرة وقال "ست هالة وأستاذ ناجي وست نورا... لماذا تنامون هكذا في مدخل البناية"

تبادلنا النظرات ماذا سنخبره سيقول علينا أننا زمرة من المجانين.. أنا نفسي أشعر أنه بعد طلوع الصباح كأنني كنت أحلم وأتسائل هل حقًا ما رأيناه كان حقيقي أم أنه هلوسة جماعية؟!

انتبهت من تساؤلاتي على صوت أخي القوي وهو يقول "كل ما حدث يا عم مصلحي أننا كنا نخرج بعض الأشياء خارج الشقة فالباب أغلق بالخطأ ونحن خارجه وليس معنا المفتاح فنزلنا للبحث عنك لتساعدنا فوجدنا غرفتك مغلقة ففكَّرنا أنه لا داعي لإزعاجك فأنت بالتأكيد نائم وكلها ساعات قليلة ويطلع الصباح فانتظرنا هنا ويبدو أننا غفونا قليلًا"

ابتسمت بداخلي وأنا أنظر لأخي وثباته رغم أنه أصغر مني بعام ولكني أشعر دائمًا أنه يكبرني بسنوات عديدة فهو دائمًا أول من يستعيد ثباته ويمسك بزمام الأمور.

كانت نظرة عم مصلحي تحمل مزيج من الريبة وعدم التصديق لما سمعه ومع ذلك قال "ياخبر يا أستاذ ناجي إزاي متصحنيش ده تعبكم راحة على العموم أنا هطلع معاكم دلوقتي لفتح الباب"

غاب في غرفته قليلًا ثم عاد إلينا وهو يمسك بيده أداة ثقيلة وصعد معنا بالفعل ونحن خلفه نتذكر أحداث ليلة أمس ونرتجف.

كان الباب كالأمس منذ أن أغلقناه وحاول مصلحي فتحه بالأداة الثقيلة وبالفعل فتح الباب دخلنا وما إن لمست أقدامنا الصالة حتى كان كلًا منا بداخله قرار واحد وهو ضرورة ترك هذه الشقة..... أصرَّت أمي على مصلحي أن يجلس وما إن جلس حتى قالت له على الفور إنها تريد بيع الشقة.

قال مصلحي بدهشة "ولكنك ياست هالة لم تصلي إلا من أمس فقط"

قالت أمي بحزم "نعم ولكن أريد بيعها فهل تستطيع أن تعثر لي على مشتري" قال مصلحي بحيرة وهو يحك رأسه "لا أدري لقد حاولت مرارًا قبل ذلك عندما طلب مني أستاذ منصور قديمًا بيع الشقة ولكن لم يأتي مشتري واحد بسبب سمعتها والشائعات التي تدور حولها".

قلت باهتمام "أي شائعات ياعم مصلحي؟" قال مصلحي وهو يبتسم "إنها خرافات ياست نورا عن وجود أشباح بالشقة بسبب حوادث القتل التي حدثت فيها"

قال ناجي سريعا "أي حوادث إحكي لنا بالتفاصيل"

صمت مصلحي قليلًا ثم قال بتردُّد "عند بناء هذه البناية سكن أول شخص الشقة شاب كان أبويه في الخارج وسمعنا ذات ليلة صوت إطلاق نار وعندما صعدنا ودخلنا الشقة كان مقتولًا يقال أنه أنتحر لأنه كان تقدم لحبيبته ووالدها رفض"

قال ناجي بصوت خافت "لا أستطيع العيش بدونها" نظر إليه مصلحي ولم يفهم معنى العبارة وأكمل ثم بيعت الشقة لامراة مطلقة وابنها الصغير وذات يوم وجدناها تصرخ صعدنا إليها وجدناها تحتضن ابنها الصغير وكان ميتًا فلقد كان يستحم واختنق بسبب تسرب غاز من السخان فمات"

ردَّدت بصوت مرتجف "أشم رائحة غاز يا أمي".

نظر إليَّ عم مصلحي أنا الأخرى بنظرة عدم فهم ثم أكمل "وبيعت الشقة لدكتور وذات يوم سمعنا صراخ يأتي من هذا الطابق فصعدنا ووجدنا الطبيب يحاول إسعاف رجل كان

محصِّل الكهرباء ويبدو أنه وهو يفحص العداد أصابه صاعق كهربائي فمات على الفور" .

قالت أمي بصوت باكي "حان وقت دفع فاتورة الكهرباء".

لم يهتم عم مصلحي بما قالته وأكمل حديثه " ثم بيعت الشقة لعمكم الأستاذ منصور"

هنا سألت سؤالًا كان يدور في نفسي " أخبرني ياعم مصلحي هل عاش عمي في هذه الشقة؟ "

قال عم مصلحي على الفور " إنه لم ينم بها إلا ليلة واحدة ثم ابتسم كأنه تذكر شيئًا لقد حدث معه حادثة مشابهة لكم... استيقظت ذات صباح وجدته نائم بمدخل البناية لقد أغلق الباب عليه هو الآخر وبعد هذه الحادثة لم يمكث فيها لقد غادرها على الفور وأعطاني المفتاح منذ ذلك الوقت لتنظيفها كل شهر وأوصاني بإيجاد مشتري لها ولكن الشائعات انتشرت ولم يأتي أحد لشرائها".

تبادلنا النظرات سويًا إذا عمي كان يعلم أنها مسكونة لذلك كتبها لنا.

شكرنا عم مصلحي وانصرف

جلست أمي وقالت بحنق "كنت أعلم أن هذه العيلة لا

يوجد بها أحدًا يمتلك ضميرًا غير أبوكم وأنا كنت أُحدث نفسي ما الذي جعله يترك لنا شقة مثل هذه، ذلك اللعين كان ينتقم منا كان يريد موتنا".

حاولت تهدئة أمي "لا داعي للدعاء عليه فليرحمه...."

صرخت في أمي بقوة تقاطعني " بل يلعنه ويدخله جهنم من أوسع أبوابها " ثم بدأت تتلفت حولها في خوف وقالت " يجب أن نغادر هذه الشقة الآن قبل أن يظهروا مرة أخرى لنا "

تذكَّرت أنا الأخرى أحداث أمس فارتجفت من الرعب.

قال أخي بثقة " لا تخافا فالأشباح لا تظهر نهارًا كما أرى في الأفلام وأعتقد أن هذا صحيح بالفعل المهم جيد أننا لم نفرغ جميع حقائبنا بعد هيَّا سريعًا نحزم جميع أغراضنا ونذهب من هنا"

لم تمر نصف ساعة إلا وكنا نقف على باب المصعد ودخلناه.... كان بداخله امرأة ما إن رأتنا حتى ابتسمت وقالت بترحاب " أنتم الجيران الجدد لقد رأيتكم عند وصولكم بالأمس... أنا جارتكم بالطابق الثاني " حانت منها نظرة إلى الحقائب وأكملت بتعجب " هل أنتم مغادرون؟! "

قالت أمي بارتباك " إننا سنسافر لقضاء أجازة مصيف بالأسكندرية "

وصل المصعد إلى الدور الأرضي فتحنا الباب وفي مدخل البناية قالت جارتنا بابتسامة مودعة: " أتمنى لكم أجازة سعيدة وعندما تعودوا سنتعرف على بعضنا بشكل أكثر... تبدو الحقائب ثقيلة خسارة أنه لا يوجد بواب كان ساعدكم على حملها "

قال أخي بحيرة " أليس عم مصلحي هو بواب البناية؟! "

نظرت له جارتنا باستغراب وقالت " كيف عرفت هذا الإسم إنه بالفعل كان بواب البناية ولكنه مات منذ سنتين... أذكر أنه مات في شقتكم فلقد كان ينظفها كل شهر وسمعنا صراخه يومًا فصعدنا إليه فوجدنا باب الشقة مفتوحًا وكان هو بالصالة ملقى على الأرض غارق في دمه... لقد سقطت على رأسه النجفة فمات على الفور... رحمه الله كان بواب أمين وطيب... ولكننا سنأتي ببواب للبناية قريبًا.... ماذا بكم... ما نظرات الفزع تلك التي بأعينكم... هل قلت شيئًا خطأ!! ".

تمت بفضل الله

رسالة إلي مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة...

أمَّا بعد...

رسالة إلى أحدهم.... حافظ في حياتك على كل شخص يحبك ويهتم بك... الحياة قاسية بما يكفي فكيف إذا كانت أيضًا بدون حب؟.... الأحباب هم من يجعلون الحياة تستحق أن تُعاش... أؤكد لك أن من أقسى اللحظات التي يمكن أن تمر بها عندما لا تجد من تخبره أنك لست بخير.... فلا تصل إلي هذه النقطة.... فلا تدع الخلافات والظروف سببًا في خسارة صديق وفي أو حبيب مخلص... ولا تضيع لحظة واحدة بدون أن تبوح بحبك لكل من تحبه.

محبَّتي الأبدية

المُخلصة

نهى فتحي

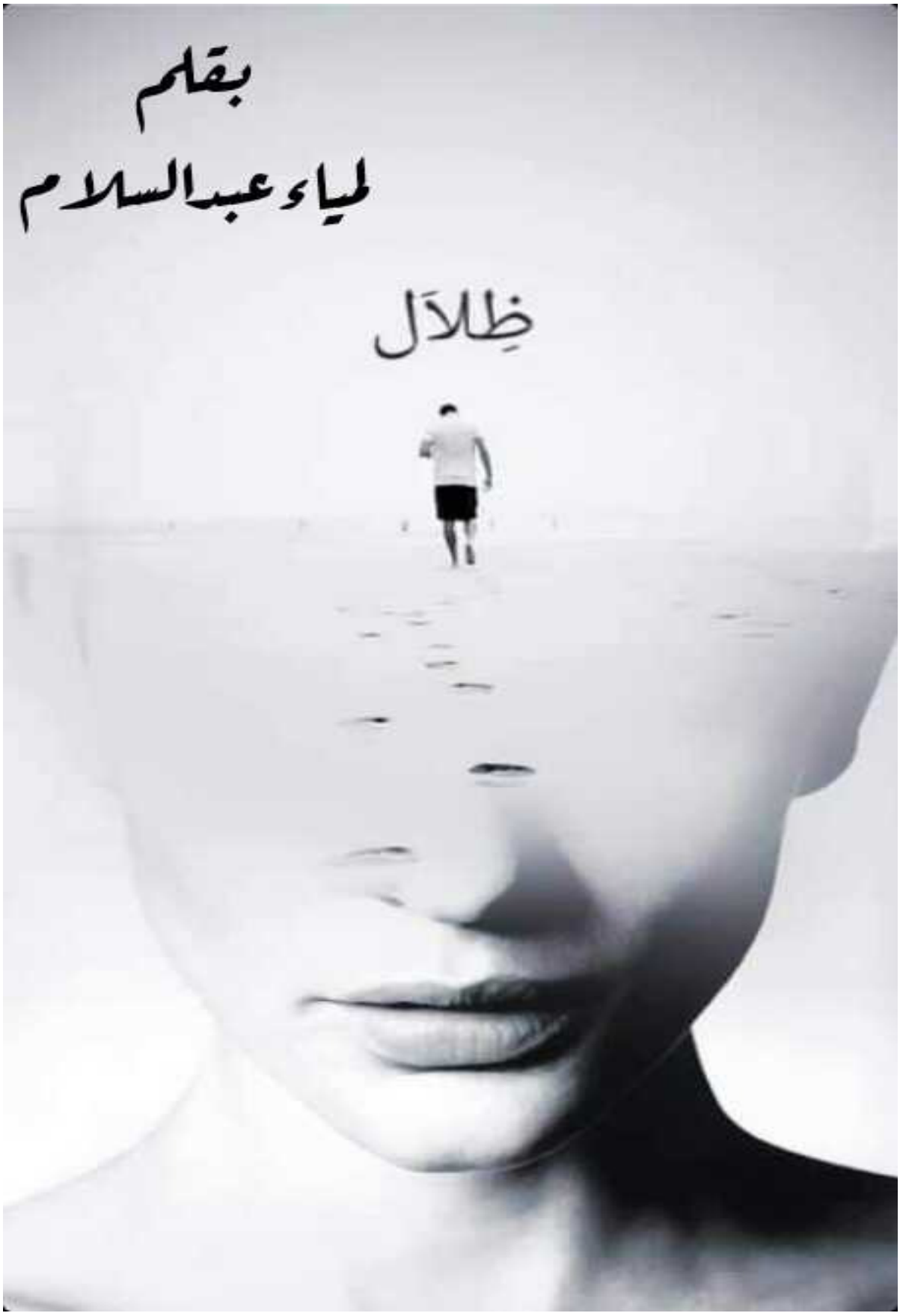
بقلم
لمياء عبدالسلام
ظِلاَل

سطور من حياة

مياء عبد السلام

✻ في عروس شمال المغرب طنجة كان مولدي، وبها تلقيتُ تعليمي، تخرجتُ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، وحصلت على الإجازة في الدراسات الإسلامية، عشقتُ القصص والحكايات منذ الصغر، وكنت أؤلف وأبتكر الحكايات، ولا أزال، وقد أخرجتُ بعضها إلى النور عبر وسائل التواصل الإجتماعي، فكانت:

✻ رواية **"طوق حمامة بربشتر المنكسر"**، روايتي الأولى وهي رواية تاريخية إلكترونية، ثم رواية **"عالم الألخميادو"** وهي أيضًا رواية إلكترونية عن دار حروف منثورة للنشر والتوزيع.

✻ ثم مشاركتي المتواصلة مع مبادرة نساء مبدعات للعمل الأدبي بجميع إصداراتها، عن دار الشهد للنشر والتوزيع، المجموعة القصصية **"وعد الروح"**، **"نون النسوة"**،

"**رؤى القلب**"، "**أهودا اللي صار**"، "**رغم الوجع**"، والمجموعة السادسة وهي بين يديكم الآن.

* أكتبُ حاليًا على منصة رقيم ولديَّ رواية عليها تحت عنوان "**شيء من الجنة**" ثم سلسلة من القصص القصيرة تحت عنوان "**حكايات امرأة**" وكذلك بعض القصص المخصصة للأطفال.

* أسعدُ جدًا إذا قدمتُ عملًا مفيدًا، شأني كشأن كل كاتب، يطمح أن يترك أثرًا جميلًا على النفوس، ولذا أحاول أن أتجدد في كل حين مع القصص التي أسردها، فبين الخيال، والواقع، والفانتازيا..تجدني، أكتبُ بما أوحى إليَّ بهِ قلمي، الذي آمل من خلاله أن أسمو نحو التوفيق، ونحو الأفضل..

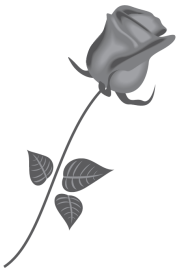

سلام مني لكل قارئ .. ووردة..

* للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:

ظِلَال

تأتي رياحُ الجوى أحيانًا بما يشتهيه القلبُ وبما لا يشتهيه، تنهمرُ نفحاته عليه على حين غرة، تدفع به دون إرادة منهُ ليعيش دَعَة حياة أو بؤسها.

ابتسمتُ وأنا أرهف السمعَ لقهقهة الصَّبِية الصغيرة التي تُلاحق ظلَّها السعيد بخطواتها البهلوانية على الطريق، ووالداها يوثَّقانِ حركاتها الطريفة عبر هاتفهم، تمنيتُ لو أنني أستطيع أن ألاحق ذكرياتي مثلها، بفرح وأريحية، أو بعدم اكتراث وسخرية، ففي النهاية ما هي إلا ظلالٌ قد مضت لحالها.. تنهدتُ مجددًا، وأنا لا أزال في ذات التفكير الحائر من مفهوم الحُبِّ في يوم عيده، عيد العشاق كما يسمونه، فأدهشُ وأنا أنظرُ إلى تشابك أيدي المحبين فيه وهم يمرون بسلام، ووشوشاتُ لِحاظهم تُعلنُ عن كلام خفي، لا أحد يستطيع أن يسترق السمع إليه، فقط بريق مقلهم تلتقط عُمق معناه، البعض يقول عنكَ ياحبُّ بأنك مجرد وهم وسراب، أو شهوة عابرة، لكنَّني أؤمن يقينا بأنك مخلوق طاهرٌ يعيش في القلب..

حبستُ أنفاسي الحالمة، وأنا أنتظر وصول خطيبي، متأملة هذه المرة، الحبيبان الجالسان إلى جواري في المقهى الباريسي المطل

على نهر السين، ثم أطلقتها مجددًا كعصفور جائع يريد أن يقتات على حبات الذكريات المنتشرة في كياني، شهقتُ لحر الذكرى:

أكنتُ مثل هذه الفتاة..! لا تسعُ رؤيتي في الوجودِ سواك؟

فمنذ سنين خلت كنتَ حبيبي يا غالي، كنا نختلسُ من الوقت سويًا أيام الجامعة، نُبطئه ليفسح لنا المجال، ونفرُّ بنفوسنا بين طياته نحو كورنيش المدينة، فنوقفه هناك ونحن نغوص في بحر عيون بعضنا البعض، مدٌّ وجزرٌ لأحاديثنا التي لا تنتهي وهي ترتدي ضياء الآمال، تُطلقها مقلتانا الصادقتين، فعالم العشاق ينطوي كله في نظرة واحدة صادقة،ولعلها هي القطرة التي تُحيي أديم الروح.

أحببتكَ بشدةٍ منذ طفولتي، وكذلك فعلتَ أنتَ يا غالي؛ فقد كنتَ جاري، وصديقي وحبيبي، الذي لم أعرف غيره، كان كل شيء يجمعُ بيننا، الفقرُ والعوز الذي يعاني منه أهلنا،الدراسة، والسن، والهواية، إذ غريب كيف يمكن لشخصين أن يكونا على ذلك القدر من التشابه، لكننا بالفعلِ كنا، فولة وانقسمت نصفين!

لحد الآن لا أعلم متى بدأ أو من أين جاء كل ذلك الوجد، كل ما أعرفه هو أنه كان هناك، يدفئ الفؤاد ويمنحه السلام، ويُهيج صخب أمواج الحقودين والحسَّاد ممن حولنا، بل لعل

هناك من تربص بنا كثيرًا، وحاول تفريقنا، فقط لإخماد ذلك البريق الذي يُشع في عيوننا منارةً، وعبثًا كانت مكائدهم.

واصلنا سويًا بعدَ انتهاء مشوارنا الدِّراسي بحثنا عن عمل شأننا كشأن الجميع، كان الأمر أشبه بتنقيب عن بئرِ ماء في بيداء مقفرة،أو تفتيش عن إبرة صغيرة في قشة تبن، ليلةً مظلمة، فمع كل هذه الأزمات التي تعصفُ بأوطاننا بات الشباب في حيرة من أيامه التي تتسربُ أمامه دون أن يحظى فيها بفرصة ليعيشها كما يأمل ويرجو، أعيانا عِنادُ الظروف وتَعَنُّتها لكننا أبدًا لم نستسلم، لنتمكن في الأخير من الحصولِ على عمل بسيط في شركة عقارات، لم يكن أجرها كبيرًا، ومع ذلك تحدينا الجميع بذلك الإنجازِ وأمسكنا بأيدي بعضنا بقوة، وقرَّرنا الزواج ثم أتممناه، كنا حُلما أو حكاية خرافية نُجسدها على مسرح الحياة القاسية، واقعٌ إلتزمنا فيه بالحب واكتفينا به، لنؤكد للجميع أنه ورغم كل ضُرٍّ وعسر، فإن الحب الصادق هو أصلُ كل شيء.

لكننا فوجئنا مع مرور الوقت ببعض الوهن وهو يتسلل إلى مشاعرنا، ومُكرهين أحسسنا بأن إيقاع أفئدتنا بدأ يتباطئ ونحن نقفُ في مواجهة غير متكافئة مع صروف الدهرِ ورياح الحياة،

نحاربُ الفواتير التي تحيطنا من كل جهة، بتنا كالدون كيشوت دي لامانشا نواجه طواحين غير مرئية، ضرباتها موجعة، وأذيتها شديدة، وخلال أدائنا لدورنا بصبرو ثبات، بدأت تصفيقات أرواحنا لصمودنا المَلحمي، ينخفض صدى رنينها شيئًا فشيئًا، فأدركنا حينها أننا في أزمة تتطلبُ الدعم.

جاءتني صديقتي سليمة في ذاتِ صباح، تحمل معها تباشير الفرج، فقد أخبرتني حينها بأنها قد وفَّرت لي عقد عمل في فرنسا، سأتمكن من خلاله من تحسين حالتنا المادية، لم أعلق بل كنتُ أنتظر ردة فعل غالي على ذلك الاقتراح، كنت أتلهفُ لسماع رفضه، وهو يؤكد بأن ابتعادي عن مملكة الوجدِ التي شيدناها معًا مستحيل، إلا أنه علَّق بحسرة واضحة:

"يا للحظ! كنتُ أتمنى أن يكون هذا العقد لي بدلًا منكِ!"

فأخبرته سليمة، بأن هذا العمل الذي هو في مجال النظافة يتطلب امرأة وليس رجلًا، فتأفف مجددًا ثم أردف:

"حسنًا.. أسما.. أنا موافق.. المهم هو أن تبعتي لي بالمال كي أدخرهُ.. وأن تبحثي لي بكل جدية عن عقد كي ألتحقَ بكِ"

و بكسرة واستسلام أجبتهُ حينها:

"سأفعل ما تريد.."

وهكذا بدأت رحلتي خارج مملكة الوجدِ التي عشتُ بداخلها طوال حياتي وكلي أمل في تحسين الأوضاع لاغير، إذ أن الواقع الصعب، يدفع بك أحيانًا لفعل ما لا تريد، كما أن هذا الحب الذي نحملهُ، كثيرًا ما يجعل المرء يتخلى عن نفسه، ويحيا من أجل الحبيب، يطمحُ لإسعاده فقط، فيصبر على الابتعاد وعلى غربة الروح.

وطأت قدماي لأول مرة أرض الأنوار، فأدركتُ حينها أن الحياة فيها مختلفة جدًا، إيقاعها سريع، لكنني تأقلمتُ معه بسرعة أكبر، كنتُ أكدحُ لدى تلك الأسرة الباريسية الثرية، وأحرم نفسي وأذخر ثم أبعث بالمال لغالي.

ومضى عام، ثم عامان، ثم ثلاثة، وأنا لا أتمكن أبدًا من إيجاد عقد عمل له، ولا أتمكن أنا نفسي من العودة إليه، لأنه قيَّدني بطلباته، وبأحلامه التي تستلزمُ ثروة كبيرة، وجُهدًا متواصلًا،فقد أخبرني بأنه يطمحُ لشراء بيت وأن أقساطه لا يزال ينقصها الكثير، وأنه أيضًا يفكر في مشروع خاص..و..و..

كنتُ مرهقة وحيدة في تلك الغربة، لكنني أيضًا كنت سعيدة من أجله، وكنت أشجعُ نفسي على الاستمرار إذ لابد من عتمةِ هذا الاغتراب أن تنقضي، وأن يأتي الفرج وأن أعود يومًا فيه إليه،

وإلى جنتي معه، كل ما كنتُ أخشاه هو إلحاحه المتواصل في طلبه لإيجاد عقد عمل لم أوفق في تدبيره، وكنت أرتعبُ فيفارقُ النوم أجفاني كلَّما هدَّدني بأنه سيلجأُ إلى الهجرة السرية، فأمنعه عن تلك الفكرة بالطريقة الوحيدة التي أعرفها، وهي بأن أطحن نفسي بين شقيَّ الرحى وأتفانى في العمل كي أرسلَ إليه المزيد من المال، لعله يتصبرعلى ذلك البعاد.

وخلال تلك الفترة كنتُ أتنقل بين وظائف إضافية كثيرة، فأستقلُّ في كل يوم أربعاء قطار الأنفاق رقم عشرة الذي يوصلني إلى شارع جون جوريس،لأعمل لدى سيدة هناك.

ولدى عودتي كنت ألتقي بذلك الشاب المهذَّب كثيرًا، إلياس، الذي يبدو لك ومنذ الوهلة الأولى بأنه فرنسي بسبب هيئته وشقاره الشديد، لتفاجئ بأنه نصف عربي من أم فرنسية، بدأت قصتنا يوم تأخر القطارُ عن موعده على إثر ذلك الحادث الكئيب، حينما سقط أحدهم على مساره، وتحوَّل جسده إلى أشلاء، وقد قيل حينها أن يأس الحب، وكسرة القلب على حبيبته التي هجرته، أفضى بذلك الشخص إلى تلك النهاية المفجعة، كان المشهدُ محزنًا حتى أنني كدتُ أسقط مغشيًا عليَّ من هول الحدث، ومن شدة التأثر الذي لازمني طويلًا، مما جعل إلياس وكلَّما

تصادف لقائي به يبادرني بالسؤال عن حالي، لأجيبه بامتنان على اهتمامه، ثم لِأؤكد له أنني بتُّ بخير، ولأعلقَ بعدها ببعض الطرافةِ.

" تنقصني بعض المثلَّجات فقط لتُنعشني" فكان يبتسم لتلك المزحةِ، فطقسُ باريس الصاقع حينها كان غيرُ مناسب لتناولها.

وبعد مدة تطورت تلك الأحاديث بيننا، فعرَّفني على نفسه، وعلى عمله كأستاذ لمادة الرياضيات للمرحلة الثانوية، كان يُحب أن يتحدث بعربيته المتكسرة، وكنت أعجبُ من إصراره على ذلك.

ورغم أدبه معي لم أسترسل معه يومًا في الحديث عن نفسي فاكتفيتُ بما هو جلي وعام، فأنا أكسبُ قوتي بالعملِ في مجال النظافة بعقد محدد أجله، أحاول أن أجدده في كل مرة، كي تستمر حياةُ أوراق إقامتي ولا أطرد من البلد، وأزاولُ أيضًا سويعات إضافية حتى أتمكن من تغطية المصاريف التي ألتزم بها.

والحقيقة أنه ساعدني كثيرًا حينما تدبر لي منصباً في إحدى الشركات، وبعقد جيدٍ جدًا..

كانت في البداية، علاقتنا على ذاك النحو من الصداقة الطيبة، إلى أن فاجئني يومًا وهو يعرض عليَّ الزواج، لم أعرف كيف أجيبه، انحبس لساني، فأنا لم أخبره عن حياتي الشخصية، وبت في حيرة من أمري.

عدت للبيت وأخبرتُ زوجي بما كان، ففوجئت بردة فعله.

"أسما..إنها فرصة لا تعوض! إقبلي!"

"ماذا تعني.. هل جننت؟"

"إسمعي عليكِ أن تستغلي الوضع! فبعد زواجك به.. ستحصلين على أوراق الإقامة الدائمة..و حينها تتطلقين منه..ثم نعود إلى بعضنا من جديد..!"

"هذا غير ممكن كيف يمكنك أن تفكر على هذا النحو!"

"كل شئ سيكون على ما يرام..فقط قومي بما أطلبه منكِ"

"ولكنني لا أريد أن أستغل طيبة الشاب وثقته بي! ثم إنه يريد زواجًا حقيقيًا وليس صوريًا!"

سكتت هنيهة ثم أردف:

"ستكونين زوجته حينها..فالأمر ليس حرامًا..!"

لم أنم في تلك الليلة، صدمتي في زوجي كانت ندبة عميقة مؤلمة، وقد زادت من أنين غربتي ووحدتي، وخلال الأيام التالية ذهبت إلى عملي بعينين منتفختين، أتهرب من أسئلة الناس، ومن اتصالاتِ إلياس، فالمسألة بالنسبة لي كانت مرفوضة، ليس بذريعة الحلال والحرام فقط، بل من أجلِ الحب الذي كان بيننا

أنا وزوجي والذي يبدو أنه قد اختفى، فلم يعد له تلك القيمة وذلك الألق الذي كنا نحيا به من قبل،إذ كيف لشخص يدَّعي الحب والعشق أن يدفع بحبيبته إلى شخص آخر!

تمكن في الأخير من إقناعي بوجهة نظره تلك، كما تمكن إلياس من العثور عليَّ، فأخبرته بنصف الحقيقة مجددًا، وبأنني كنت متزوجة ولم أحصل على الطلاق بعد ولهذا كنت أبتعد عنه، لم يعاتبني أبدًا بل كان جد متفهم وقبل برضا أن ينتظر معي المدة الكافية حتى نتمكن من الزواج!

وكم احتقرتُ نفسي حينها وأنا أراه يتعامل معي بكل تلك الطيبة..وبكل ذلك الحب!

لم يتأخر زوجي كثيرًا، فقد طلقني مباشرة وأرسل إليَّ بكل الأوراق التي أحتاجها، وهو يسارع الزمن لإتمام خطته، أما أنا فأتباطئ أكثر وأحس بدناءة أخلاقي كلَّما إلتقيتُ بإلياس.

فكرتُ بمصارحته، إلا أني كنتُ أجبن وأصمت دائمًا أمام وهج عينيه.

انتهت مدة عدتي وأنا لا أزال أتصل بغالي، أحاول أن أثنيه عن تلك الفكرة، إلى أن تواصلتْ معي إحدى الصديقات،

لتكشف لي عن مدى غبائي ولتُخبرني بما كسر قلبي إلى قطع خربة لا يمكنها أن ترمم أو تُصلح، فقد علمتْ بمحض الصدفة بأن زوجي قد اشترى بيتًا في السر، وأنه متزوجٌ وينتظر طفلًا..لم أستطع أن أصبر على ذلك النبأ الموجع، ورأسًا اتصلتُ به لأستفسر عن الأمر.

فكان رده على خلاف ما توقعتُ، من إنكار أو تضليل،لأنه صارحني بكل ثبات وجرأة:

"وما العيب في ذلك! ثم أنا رجل وأحتاج إلى من يهتم بي!"

"وأنا! ألم تفكر بي! وبتضحيتي! والمال الذي أبعثه لك كيف يمكنك أن تأخذ ما عملتُ من أجله لسنوات لنفسك!"

"أنا وأنتِ واحد.. ثم لدينا اتفاق بيننا! أتذكرين!"

"لا شيء بيننا بعد الآن! لقد انتهيتُ منك! "

وأقفلتُ الخط، وقلبي معه، وتواريتُ وراء مصيبتي أنوح وأبكي، فقد بت ثكلى الحب، التي لم تفهم فيما أخطأت مع ذلك الحبيب، لقد كنتُ له وبه أعيش، لم أفكر في نفسي حينما أقدمتُ على الهجرة، وحينما كنت أكدحُ بلا توقف، ، كنت أريد أن نظل سويًا، وأن نُحسِّن أوضاعنا معًا، وإذا به يكسر فؤادي.

وانتظرتُ رغم ذلك اتصاله بي، واعتذاره مني، كنت مستعدة لأن أسامحه، لأن أغفر له، إلا أنه حينما تحدَّث أفجعني أكثر بنبرة صوته اللامبالية:

"لقد ازدان فراشي بطفلة جميلة، ولكنني أبدًا لن أسميها على اسمك..أتعلمين لماذا.. لأنكِ لا تستحقين، أما عن المال فسأرده لكِ حتمًا.. حينما تتحسن ظروفي، وداعًا"

كنتُ أدركُ أنه يعلمُ ما أكنه له من حب وأنه النفس الذي أحيا به، فكيف له أن يكون جبارًا وينقطع عني بلا رحمة، لم أظن أن الحب هو استعباد ومذلة، وأنه يجوز لمن أهديناه قلبنا بأن يظلمنا ثم يرحل دونما اكتراث.

لقد استبدلني غالي بسهولة، دون أن يطرف له جفن أو يخفق له بُطين.

ألم يكن هو من دفعني لكل هذا؟ يبدو أنني قربان بخسٌ قدَّمه لطموحاته، أما أنا فقدمتُ نفسي له بسخاءٍ لأنني لم أكن أسعى إلى المال بقدر ما كنت أطلبه هو.

وهكذا فَرَّقَنا الحب!

بعدها اتصلتُ بإلياس وأخبرته بأنني قد تراجعتُ عن تلك

الزيجة، حاول أن يفهم مني السبب لكنني رفضتُ الحديث معه بشدة، وبعد أسبوع متواصلٍ من الإلحاح، حددتُ معه موعدًا، وأنا عاقدةٌ العزم على إطلاعه على الحقيقة كلها، وعلى الحيلة التي كنت سأرتكبها في حقه، فأفشيتُ له كل شيء..

وبعد كشفي له عن خسة الخداع، لم يعد هناك ما يمكن قوله، لكنني غادرتُ يومها وأنا أحس ببعض الراحة، رغم انزعاجي الكبير لأجله، إذ لطالما أظهر لي إلياس صدق وده.

لقد كسرتُ فؤاده،كما كسر غالي فؤادي!

مرَّت بي الأيام واجمةً، إلى أن اتصل بي مجددًا، مُخبرًا إياي أنه ورغم كل شيء، فقد سامحني، لأنه لا يزال يحبني ويرغب بي إن أنا قبلتُ به، وببساطة هذه المرة وافقتُ على طلبه، بعدما أقنعني قلبي بأن أمنح الحب فرصة أخرى.

غيَّرتُ رقم هاتفي كي لا يتصل بي غالي يومًا، وغيَّرتُ نمط حياتي وبت أخرج إلى الحدائق والمطاعم مع إلياس بدل انغماسي في العمل طوال الوقت، واليوم وفي ذكرى عيد العشاق لديَّ موعد معه، لأنه خطيبي الذي سأتزوجه بعد غد، وعلى خلاف هدايا المُحبين من ورود حمراء، وعلب الشوكولاته

الفـاخرة، كنـتُ أراقبـهُ وهـو يقـتربُ مـن المقهـى وبيـده بعـض المثلجات التي أحبها، وابتسامته اللطيفة تزين وجهه، ربما لن أدرك أبـدًا حقيقـة الحـب، كمـا أنني شـخصٌ لا يملـكُ قلبـين في جوفه، فقـد أحببتُ حقًـا في الماضي غـالي، إلا أنـه كـان رحلـة وانقضت، فقدتُ على إثرها بعض نفسي في مملكة الوجدِ التي ترتمي أطرافها في كيـاني..ثـم أضحى كـل شيء ظِلالا، فأيقنتُ بعدها أنه لا يمكنني أن أهجرها وأحيا في غربة موحشة، فالحب لا يختفي مـن حياة النـاس بسهولة، كما أن العالم قبيح بما فيه الكفاية، ولذا فوجود الحب هو أمرٌ ضروري، لأنه الوحيد القادر على أن يجمل تشوه الأيام، فهو على الأرجح تعويذة الصباح والمساء التي يجبُ أن نحرص عليها للأبد.

ومرة أخرى قررتُ أن أستوطنَ مملكتي، وأن أنصتَ إلى فؤادي وهو يوشوشني وهو يراهُ يقترب..

"ولعلّه تسلل بين الحنايا في ذات غربة.. حينما كادت أن تتخلى نفحاتُ الجوى عن شغافِ قلبي ..لِيَتَفَتَّقَ بِلطفِ نسيمها من جديد.. "

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة...

أمَّا بعد...

إليكِ....

السلام عليكم وبعدُ، ولعمري مازلتُ معكِ أرى فيكِ كل الخير المخبوءِ، كدفينةِ كنز تحتاجُ إلى النبش، وكعينِ ماء تحتاجُ إلى التنقيبِ، أعلمُ علم اليقين أنَّ على النفس ردمًا كالطود الشامخِ من صروفِ الدهر وشديد النوائبِ، حجبتْ بوطأتهَا ضوءَ النهارِ ومنعت الهواء وأثقلت حركته بين ثنايا الصدرِ المنهكِ، وأن الحياة بما فيها من كروب، وفشل، تُربكُ المرء وتجعله يقف بلا حراكٍ في مكانه وكأنه شجرة يابسةٌ فقدت عطائها، مستسلمةٌ للفناءِ، آن لفأس الحطابِ أن يفصلها عن جذورهَا، فتنتهي بعدها متوهجة في الموقد، أو على أحسن حالٍ كإحدى الورقات البيضاء التي أخط عليها خطابي هذا!

أعلمُ أنكِ في الأصلِ، نفسٌ طيبةٌ تتماهى في انسجامٍ مع الكون الذي خلقه الله تعالى، لا ينقصكِ شيء إن أنتِ آمنتِ بذلك، وينقصكِ كلّ شيء إن أنتِ آمنتِ بغيرِ ذلك!

فكن من نفسك في عافية، واختر الأولى، فذاك والله هو امتلاكُ ناصيةِ الدنيا التي تركض ورائها، واصرف نفسك إلى ما يعود عليك بالنفعِ، والبهجةِ، فإن لنفسك عليك حقًّا، وهو أعظم حقٌّ على الإطلاقِ، فبه يتوازن المرءُ ويستقيم، وتحصلُ السعادة وترتاح النفسُ.

والراحة تأتي بعد تعبٍ وكبدٍ، فلا ضير إذن من المعاناةِ، والروح تُصقل بها كما يُصقلُ المعدن لتجلو، فتخرج بعدها للوجودِ رقراقةً، خفيفةً لطيفةً.

خصصتكِ اليوم يا نفس برسالتي هاته، لعل في ذلك بعض السلوى وبعض القوة التي تقود بكِ إلى الخير والتوفيق.. وأُرفقها بهذان البيتان الجميلان في بلاغة اللغة العربية وجمال مفرداتها،

وَإِذَا سَئِمْتَ مِنَ (الوُجُودِ) لِبُرْهَةٍ فَاجْعَلْ مِنَ الْوَاوِ الْكَئِيبَةِ سِينَا
وَإِذَا تَعِبْتَ مِنَ (الصُّعُودِ) لِقِمَّةٍ فَاجْعَلْ مِنَ الْعَينِ الْبَئِيسَةِ مِيمَا

وأختم كتابي إليكِ، أيتها النفس البشريةُ العزيزة والروح الطيبة بالشكرِ.

محبتي الأبدية

المُخلصة

لمياء عبد السلام

شكر خاص

لضيفي الشرف

على وجودهم معنا في المجموعة السادسة

من عمر مبادرة نساء مبدعات

كل الشكر والتقدير

أ/هشام عيد

أ/عادل عبد الرزق

لقاء
بقلم
هشام عيد

سطور من حياة

الكاتب هشام عيد

* هشام عيد، روائي له العديد من المؤلَّفات: "**أوراق حلاَّق**" رواية، "**حارة سر الدين الفلواتي**" رواية، "**البطء**" رواية، "**نصوص ذهبية**" ترجمة.

* تُعد هذه المشاركة هي المشاركة الرابعة لي في مبادرة نساء مبدعات، حيث أولتني الراقيتان "**رشا شمس**" و"**نهى محمود**" شرف المشاركة في عملين سابقين.

* لست أميل رغم ذلك لتصنيف الأدب النسوي، لو قلنا نحن الرجال "**أدب رجالي**" لاتهمونا بالذكورية.. لكنهن نساء، يفعلن ما يشأن ولا نملك إلا السمع والطاعة.. لكن مكرهن لذيذ.. يتركن لك المقدمة الإعتبارية لتظل موهومًا بوهم القيادة.

* أكتب حين أكتب للإنسان، وعن الإنسان، ولا يعنيني حين أكتب إلا أن أفرغ تلك اللحظة المجيدة على الورق.

* لست أعرف منذ متى أدمنت القراءة، لكنني أذكر ذلك الصبي الذي يقتطع من مصروفه الضئيل ليشتري كتابًا كلَّما فرغ من آخر، وأذكر شفقة البائع الطيب ووعظي بالاستعارة.

* رحمة الله عليه كان ينزل بالكتاب لأدنى سعر.. **"شلن وبريزة"**. كان هذا رجلًا طيبًا في زمن طيب.. تشعر فيه أن كل الكبار كانوا آباءً لكل طفل.

* **لن أكتب؟**

لن أكذبك.. لا أكتب إلا لنفسي، لتلك المتعة الطاغية حين تجد اللفظ المناسب لمعنى يجول في نفسك، لتلك الحاجة التي تجعل كل ما دونها بلا أهمية، أشعر أن هذا السؤال لا يُرد عليه إلا بسؤال مثل: ولماذا تأكل ولماذا تشرب.. أما الكتابة فتصل إلى لذة أخرى تقارب تلك **"اللي بالي بالك"**.

* **المثل الأعلى:**

يبقى القرآن الكريم الوجه الأمثل لكل إبداع.. زيَّن الله به اللغة العربية فازدانت ولمعت فيها أسماء كالذهب.. أحببت ابن المقفع وأبا حيان والجاحظ.. وتمثلت نجيب محفوظ وأدهشني يوسف إدريس وشغلني يحيى حقي عمن سواه.. ثم اجتهدت ولم أزل حتى يكون لي قلمي.

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

لقاء

غانية وراهب.. صحراؤه تشبعه وزهده يأويه، اعتاده قسرًا، ولا تشبع هي مهما ارتوت؛ ماء المشتهين محدود ولهفتها بلا حدود، ظنَّ في عزلته أن الزهد وقاية، فكرة واشتياق يستمد نوره من خصوصية مصادره، وظلَّت ظمای رغم كثرة الموارد. حكمت الأقدار أن يلتقيا، ربما استنجد به الناس وربما أراد الرب أن يختبره..وربما ألحَّ عليه جسده.

إليها اتجه.. كان عليه أن يستبدل أسماله ويهندم ملامحه حتى يكون مقبول النصح، تجهَّز بأعمق أفكاره.. منذ أعوام لم يلتق أنثى ونادرًا ما خاطب إنسان.. همسٌ ألحَ عليه أن يصدِّر علمه للدنيا، وتردد هشٌ يثنيه.. جهد هداية النفس عسير، النار المتقدة لا تخبو مهما سكبت عليها من ماء التقى، فما بالك بهداية آخر!

وكانت في شوق أيضًا أن تلقاه، أن تعرِّض عشقها للشمس؛ فما خلق الله كل هذا الشغف لكي نُهدره في خفاء الذنب، ما زالت تتنقل في نار الوجد حتى تجد عشقها الحقيقي، استعدَّت بالدلال

والعطور والقد النزق.. وكان لقاء.. دهشة وصدام.. لم يتبادلا كلمة واحدة طوال يوم وليلة.. ذاب الليل ولم يذب توق جسديهما ولم يشبعا.. أدرك أنه بشر..

تمت بفضل الله

الثورة
بقلم
عادل عبد الرازاق
الثورة
بقلم
عادل عبد الرازاق

سطور من حياة

عادل عبد الرازق

* من مواليد القاهرة عام ١٩٦٢م،تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٨٤م، سبق له نشر قصص قصيرة في جريدة الراية القطرية من عام ١٩٩٢م حتى ١٩٩٨م.

* صدر له أول مجموعة قصصية تحت اسم **"النهايات البعيدة"** عن دار سنابل وشارك بها في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة عام ٢٠١٦م.

* في العام التالي صدرت له مجموعته الثانية باسم **"لحظة غروب"** عن دار غريب شارك بها أيضًا في معرض الكتاب بذات العام ٢٠١٧م.

* **"سوف أحيا"** هي المجموعة القصصية الثالثة عن دار غريب أيضًا وكان لها نصيب المشاركة بمعرض الكتاب عام ٢٠١٨م.

* له مشاركة مع مجموعة مؤلفين -أقلام- في مجموعة قصصية **"شغف الحروف"** بقصة **" دثار العراء"**..

* مشاركة بقصة "**رائحة الوهم**" في مجموعة قصصية بعنوان "ملحمة القلوب".

* مشاركة بقصة "**لقطات**" في مجموعة قصصية "**صهيل المدائن**".

المشاركات النقدية:

* مع الحراك الثقافي الذي أدار مناقشات نقدية عديدة من عام ٢٠١٦ ولا زال مستمرًا بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

* مناقشة نقدية مع الناقد الأدبي "د.حسام عقل" بدار الأوبرا المصرية لرواية "**واشتاقت إليك عيناي**" للكاتبة "رشا شمس" صادرة عن دار الشهد للنشر والتوزيع.

* مناقشة نقدية أيضًا بدار الأوبرا المصرية لمجموعة قصصية "**ضريح بلا شيخ**"- شاهندة الزيات - عن دار بنت الزيات.

* أيضًا له العديد من المناقشات الأدبية بمكتبة الدقي في ضيافة الأستاذة الكاتبة/ منى ماهر.

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

التنورة

تدور الأيام كرحي طاحنة لكل مشاعري، رغم الألم المنتشر في كياني أشعر بلذة الدوران، أرنو إلى تلك اللحظة التي تتغير فيها الأشياء مُحدِثة ثقبًا في هذا الكون لعلي أرى ما افتقده بشدة.

اختلطت الصور أمامي، لم يكف الرجل عن الدوران بثيابه البيضاء وشعره الأصفر المسدل على كتفيه، ولحيته كضفتي نهر جفَّ نبعه، ارتفعت التنورة تداخلت ألوانها.

لا أحد معي في هذا الدوران، تمنيت دوام العزلة من حولي، أسمع فقط نقر الدفوف وترانيم الأذكار.

غابت عني ملامح التكوين، عادت لي بدايات السعي، ذكريات الطفولة؛ حين وجدت أمي للحياة وجهًا آخر... فى الشقة البعيدة عنا بثلاثة أدوار؛ رب الأسرة مطيعًا جدًا لسيدة الأسرة فيما يتعلق بإحياء حفلات الزار، تفوح من تلك الشقة رائحة البخور، يعلو صوت الموسيقى، يدور الرجل بالتنورة، يحل الظلام.

اعتدت أن أكون معها كدور منفصل أؤديه خارج حقيقة حياتي، يشغلني دائما الحالة التي تبدو عليها، أصغر سنًا، تظهر حياء العذارى... وحين تتحدث: تتحول الحروف إلى تنهيدة أو

دمعة، كأنها تحيا على الحدود- بين الموت والحياة.

***

أخذنا رب الأسرة في رحلة، كرهت القطار بلونه الرمادي وشكله المتهالك وعرباته الممتلئة بالحقائب والناس، تلك المقاعد الخشبية، يقسو خشبها، يعجزنا عن القعود براحة، نوافذ القطار مهشمة، معظم الركاب وجوههم عابسة من التعب والفقر.

حين وصل القطار، إلى محطته الأخيرة، أتعبها المرض، بعد النزول إلى الرصيف تتبعت مقاعد عربة الدرجة الأولى وجدتها مغطاة بالجلد من تحتها إسفنج يجعل الجلوس عليها مريحًا.

بعد زيارة المسجد البدوي، شددنا الرحال لضريح الشيخة "صباح"، أتذكر رونقها حين أتتها الشيخة في إحدى النوبات، ارتدت القميص الوردي، تحدثت كطفلة، أحببتها في هذه الحالة.

في الطريق إلى الضريح، راقني متعة ركوب الحنطور، حرية انطلاق البخور، متابعة ستار الغيمة على الجدران، امتناع رؤية الخارج، ترديد تمتمات خفيفة، عكوفنا في المسجد، قراءة القرآن.

بعد عودتنا تمَّ التجهيز للحفل، ارتدت جلبابًا أبيض، انزاح غطاء شعرها، ينسدل على كتفيها، تدور حولها نساء سود البشرة

يرقصن بعنف، يشبهن النساء اللائي يقفن على طول الطريق بجانب السوق، يعرضن بضاعتهن من أكياس مناديل أو خضار، أحيانًا تتهادى إحداهن، يصاحب ندائها، مد ذراعها ليلامس ذراع من يشتري، يلتف الإثم على قلبي، أغرق من هبَّات الهواء وهي تتدفق من خلال شق ثيابها... عند مفرق الثدي الناهد...وانحسار الثوب، تزيد المساحة التى ينظر إليها الشاري، أشتاق لهكذا ملامسة.

ذهني يتقبل آلاف الصور لمواقف شتى، حين كان السيد- هو الزائر، يتورد وجهها، تلقي النبوءات على من حولها، أتذكر تلك النبوءة التي همس بها أحد الأسياد وهو يقرِّر على لسانها وتشير إلى طفلي"سيعيش بخير دائمًا"... فيما بعد أخبرني الصغير بأنه لم يفهم النبوءة ولكن في جميع الأحوال وعند نجاح إحدى الصفقات يستعيد تلك النبوءة ويسر بها.

ذات يوم أثار اهتمامي فوزنا بصفقة تغيير ديكور إحدى الشركات الشهيرة، حاولت إيصال فكرة عامة عن التغيير المرجَّح حدوثه، ضرورة وجود نوافذ زجاجية، غرفة مكيفة الهواء، يجلس فيها كبار موظفي الشركة، إعداد فواصل بين المكاتب، المزيد من الكراسى الوفيرة، الابتعاد عن الكراسى الخشبية.. عند انتباهي

لما أريد تغييره، أدركت أنني أنتقم من حياتي السابقة، خاصةً رحلة القطار، وافتقادي لها.

في المساء حاولت إنهاء تلك اللوحة التي أخذت مني وقتًا طويلًا، زهرة عباد الشمس بلونها الأصفر، بأوراقها المنسقة بعمق اللون البني فى منتصف الزهرة، يجتاحني الحنين إليها، أترقَّب تعليقها على اللوحة كما كانت تفعل؛ إبداء الإعجاب، تفاصيل اللون، رمزية اللوحة.

وأنا في حالة تشتت من الانتظار والترقب وتذكُّر كل ما مرَّ من أحداث، سمعت صوتًا يهمس باسمي، حين تردد الصوت الهامس مجددًا، تذكرت الكابوس الذي يراودني وقسوته، منعت النوم من اختراق جفوني، عزمت أن أقتل الكابوس إذ راودني في نومي.... قاومت النوم بسماع صوتها في تسجيل الهاتف، كانت تتأوه من الوجع!! المرض أنهك قواها، أصبحت تختبيء في صدري وتردِّد اسمي.

أما الآن فأنا وحيدة دونها، أريد عودتها، احترت في أمرها لِمَ لا تستيقظ؛ حتى أستطيع تخفيف آلامها؟ هل صادقت الكابوس فلم تعد تستيقظ من نومها!!.

عزمت على حضور الحفلات، أدور مع الرجل، انتظر وصولها، أرنو إلى تلك اللحظة التي تتغير فيها الأشياء محدثة ثقبًا في هذا الكون لعلي أراها.

حين أنهى الرجل دورته مع دقَّات الطبل والمزمار، ارتفعت التنورة ثم سقطت.

فى انفعال وشحنة شديدة الاهتياج من النساء ينتهي الزار، أدور مع الرجل وأسقط مع تنورته، وأغيب مع صورتها.

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة...

أمَّا بعد...

في مسيرتي لم أتوقف كي أسأل ما هي الحياة؟ فقد أدركت منذ زمن بعيد أننا نحياها عبر محطات حتمية، وكل ما نملك هو إضافة هامش جانبي لنحيا فيه؛ ومثلث القراءة هو ذلك الهامش، ثم أصبحت الكتابة هي التجربة الشعورية الرائعة للحياة..

محبَّتي الأبدية

المُخلص

عادل عبد الرازق

مُبادرة نساء مُبدعات للعمل الأدبي

✍ ولدت فكرة مُبادرة نساء مُبدعات للعمل الأدبي والتي أسَّسها كلًا من "**نهى محمود**" مُصححة لغوية ومدير النشر وصاحبة دار الشهد للنشر والتوزيع، والكاتبة والقاصة المُبدعة "**رشا شمس**" بالتعاون مع دار الشهد للنشر والتوزيع في ديسمبر ٢٠١٦م وهدفها الأول هو منح الدعم الفني والأدبي الكامل للأقلام الموهوبة والمُتميزة في كافة أرجاء الوطن العربي وتقديمها إلى جمهور القرَّاء من خلال المُشاركة الجماعية للمُتميزين في مجموعات قصصية مُشتركة.

✍ أسفرت المبادرة خلال عامها الأول عن صدور ثلاث مجموعات مُختلفة ومُتميزة لاقت قبولًا كبيرًا ورواجًا رائعًا بين جمهور القرَّاء حيث نفذت طبعاتها الأولى فور صدورها، كما حظيت باستحسان النُقاد وأشاد بها كثير من الأدباء والصحفيين أيضًا.

- كانت "**وعد الروح**" هي باكورة أعمال المُبادرة ثم تلتها "**نون النسوة**" كمجموعة قصصية خُصِّصت قصصها جميعًا لإلقاء الضوء على القضايا والمشكلات التي تعاني منها المرأة في المجتمع الشرقي عامةً والعربي خاصةً ونفذت طبعاتهما الأولى والثانية خلال شهرين من صدورهما، وأخيرًا أطلقت المُبادرة مجموعتها الثالثة "**رؤى القلب**" كختام مسك لإنتاج المُبادرة لعام ٢٠١٨م في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وقد صدرت المجموعة الرابعة "**أهو ده اللي صار**" في صيف نفس العام، وقد كان ختامه مسك بصدور المجموعة الخامسة في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام٢٠١٩م، ويُشرفنا صدور المجموعة السادسة"**أما بعد**" والتي هي بين أيديكم الآن.
- شارك في المجموعات القصصية الست كاتبات من مصر، الجزائر، المغرب، تونس، الأردن والعراق بالإضافة إلى مُساهمات بعض الكُتاب الذكور أيضًا.
- وتتلخص فكرة المُبادرة في إثبات قدرة الأدب النسائي على مُنافسة الأدب الذكوري على أفضل وجه وفي كافة جوانب العمل الأدبي، والجدير بالذكر أن طاقم العمل الخاص بالمبادرة كله نسائي من عضوات لجنة القراءة، فريق التنسيق

والتصحيح اللغوي والتدقيق وكذلك فريق التصميم الداخلي والخارجي للأعمال والإخراج الفني الكامل للعمل، كنسيج مُتجانس لاختيار أفضل العناصر في كل مجال، وقد تمَّ إصدار أربع مجموعات في رسم فن الماندالا والجدير بالذكر أن اثنتان ممن قدموا الأعمال هن فتاتين صغيرتين من بنات المبادرة وهن **"وعد عمرو"** و **"رؤى عمرو"**.

✍ كما تستعد المبادرة إلي تقديم أعمال ومواهب جديدة من خلال ورشة عمل كاملة لاختيار أفضل الأقلام وأكثرها موهبة لدعمها من خلال مجموعات قصصية جديدة ذات أنماط ورؤى مختلفة خلال هذا العام ٢٠١٩م والعام القادم.

مؤسستي المبادرة

نهى محمود ♥ ♥ ♥ رشا شمس

دعوة للإبداع

- الإبداع،

عــينٌ ثالثــة لا يملكهــا
أنـــصاف الموهـــوبين،
فالمبـدع يـرى مـا لا يـراه
الآخــرون ويُقــدم مــا لا
يتوقعه الآخرون...

- الإبداع

هــو العــامود الفقــري
لمُبادرتنـا، مُبـادرة نـساء مُبـدعات للعمـل الأدبـي هـي الـرحم الحاضن بدفء لكل موهوب شريطة أن يكون مُبدعًا.

- فإذا كنت ترى نفسك مُبدعًا فمكانك معنا، كاتبًا كنت أو رسامًا، شاعرًا أو كاتب خواطر، مُصمم أغلفة أو مُنسق عام، حتى ولو كنت إداريًا ذو ابتكار فمكانك بيننا محفوظ.

♥ مُبادرة نساء مُبدعات

ترحب بكافة المتطوعين المُهتمين بدعم الحركة الأدبية والفنية في كافة المجالات....

أهلاً بكم معنا.

رشا شمس

للتواصل:

rashashamsealdine@gmail.com

nohamahmoud.171186@gmail.com

nesaamobdaat@gmail.com

01018345896 01030850512

لاقتناء المجموعة كاملة

يرجى التواصل معنا

الشهد بوك ستور ٠١٠٣٠٨٥٠٥١٢

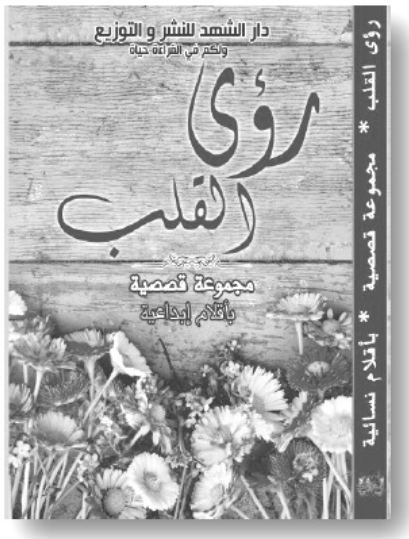

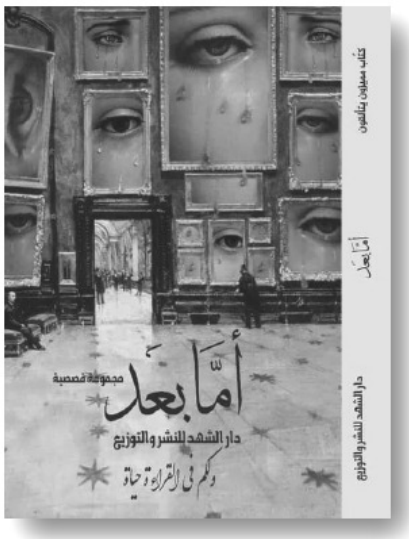

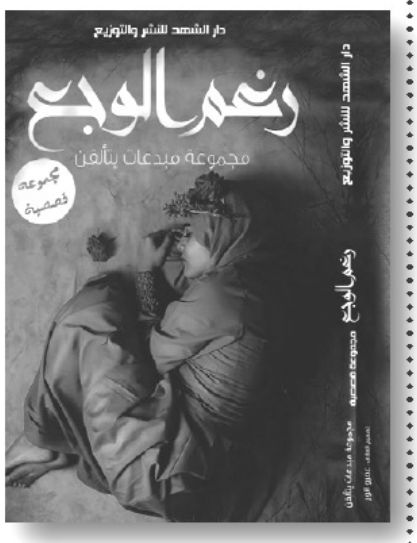

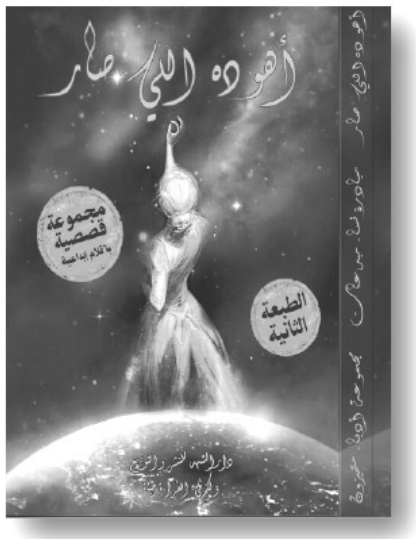

الفهرس

- كُتَّابنا وقصصهم ٣
- إهداء ٤
- ما بعد الإهداء ٥
- دعوة للتأمل..... ٦
- مقدمة الناشر ٨
- ماريا التي سكنتني.. رشا شمس ١٠
- نوبات.. نادية رشاد ٣١
- قهر الياسمين.. مريم صالح شعبان ٤٣
- غلطة.. فاطمة عمارة ٥٩
- قلب المدينة.. فيفي جابر ٧٦
- فرحة.. د. فاطمة الزهراء الحسيني ٩٤
- إنت عمري.. مروة مصطفى ١١٩
- دار الغريب.. جيهان عوض ١٣٠

♥ هذه ليلتي.. د. نهلة التهامي..... ١٤٣
♥ شقة عمي.. نهى فتحي بيومي ١٦٧
♥ ظلال.. لمياء عبد السلام..... ١٨٤
♥ شكر خاص ٢٠٢
♥ لقاء.. هشام عيد ٢٠٣
♥ التنورة.. عادل عبد الرازق ٢٠٨
♥ مُبادرة نساء مُبدعات للعمل الأدبي ٢١٧
♥ دعوة للإبداع ٢٢٠